نور اليقين فى تربية أخلاق المسلمين

دكتورة
ليلى زكى قطـــــب
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
جامعة الأزهر- فرع البنات

الطبعة الأولى

الناشر
مصر للخدمات العلمية
٧٣ شارع مصر والسودان- حدائق القبة -القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أثنى عليه ربه بأنه على خلق عظيم سيدنا محمد خاتم النبيين المبعوث رحمة للعالمين الصادق الأمين ذو الخلق العظيم وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين وعلى من سار على هديهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

إن ما دفعنى للكتابة فى موضوع الأخلاق فى الإسلام هو عملى التربوى كعميدة لبعض كليات التربية بالمملكة العربية السعودية وشعورى الدائم بالسعادة بالمناهج الموضوعية الحية الموضوعة وفقا للتربية الإسلامية التى تدرس فى تلك الكليات وتمنياتى ان يطبق هذا فى جميع دول العالم الإسلامى حتى نسد الفراغ الذى يحسه الشباب المسلم فى دوامة المدارس التى بنيت على أسس فكرية وعقدية زائفة لا تنسجم مع الفطرة السليمة وقالوا عنها أنها مدارس تدار بطريقة تربوية حديثة وليعلم الذين ذاقوا وبال التربية الحديثة والذين مازالوا بها متعلقين ان دونهم والنبع ضربة معول وان فى ديننا الإسلامى أسسا وأصولا لخير مدرسة تربوية عرفتها البشرية او ستعرفها.

فموضوع التربية والأخلاق فى الإسلام يعد علما من علوم فكرنا الإسلامى المعاصر ورائداً من العلوم التى يجب أن يقتدى بها جيلنا الصاعد فى مسيرته الكبرى نحو إقامة المجتمع الإسلامى الذى ننشده جميعا. فتربية

النشئ علـى مكـارم الأخـلاق وتقويـم نفوسـهم بمحاسـن الآداب والفضـائل هـى أساس نجاح الأمة.

ويجب أن تكون هـذه الأخـلاق مستوحاة مـن الديـن الإسـلامى والعقيـدة الصحيحة التى تتمثل فى الإسلام وحياة الأمم وبقائها مرهون بالأخلاق ولابقـاء لأمة تفرط فى أخلاقها وتتهاون فى مبادئها الروحية والقرآن الكريم أشـار إلـى أن مصارع ومهالك الكثير مـن الأمـم كـان بسـقوط أخلاقهـا وفسـادها وتربيـة أخـلاق (النشـئ) الجيـل الصـاعد يجب أن تقـوم علـى التربيـة الإسـلامية التـى مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

لقد قرأنا أدب النفس لأرسطو وأمثالـه مـن الفلاسـفة وقرأنـا أدب النفس لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فوجدنا ما تخيله هؤلاء واصطنعوا لـه صور بعد العناء بعضها كامل وبعضها منقوص. وجدناه قد تحول إلـى حقـائق حية تجسد فيها الكمال جاد بها صاحب الرسـالة الخاتمـة ونقـل بهـا العـالم مـن الغى إلى الرشاد.

ولقد ضمنت بحثى موضوعات ضافية فـى التربيـة الأخلاقيـة التـى جـاء بها الإسلام وهى تختلف فى أهدافها ووسائلها وغايتها تماما عن ألـوان التربيـة الحديثة فى الأمم الأخرى فلقد أوضح القرآن الكريـم جميـع القضايـا التـى تهـم الإنسانية وشرح ووضع العقائد والعبادات والمعاملات التى تساعد علـى إنشـاء مجتمع مثالى.

وأرجو أن يحقق هذا الكتاب هدفه الذى يوحى به اسمه وعنوانه. ويؤدى إلى لفت أنظار المنصفين للأخذ بمنهج التربية الإسلامية للنهوض بهذا الجيل ليستعيد مجد امته.

والكتاب بعد ذلك يقع فى مقدمة وخمسة فصول .. الفصل الأول فى العلاقة بين الأخلاق والتربية فى الإسلام، والفصل الثانى فى مصادر الفكر التربوى الإسلامى، والفصل الثالث فى أساليب التربية الإسلامية فى القرآن الكريم والسنة النبوية ، والفصل الرابع فى الفكر التربوى الإسلامى وخصائصه، والفصل الخامس فى مؤسسات التربية الإسلامية.

وأرجو أن يكون هذا الموضوع إضافة إلى مجال التربية الإسلامية وأن أكون ووفقت فيما كتبت وفيما قصدت.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

دكتورة/ ليلى قطب

[الفصل الأول]

علاقة الأخلاق بالتربية فى الإسلام

الوظيفة الأولى للمربى إنما هى العمل على تفتيح ذهن الحدث للقيم الخلقية وكلما زادت حاسية المربى نفسه للقيم كان تأثيره على النشئ أقوى وأفعل والحق أن للأخلاق وظيفة إيجابية لأن واجبها أن تربى المربى نفسه حتى يصبح أهلا لتربية النشئ وهذا يعنى أن الأخلاق تضطلع بمهمة المساهمة فى إيقاظ الإحساس بالقيم لدى الإنسان. والمربى يأخذ على عاتقه إعادة البصيرة الى أولئك الذين لم يعودوا يدركون القيم والمربى هو الذى يرى ثم يعلم الآخرين كيف يرون. ومن هنا تتكشف لنا صلة الأخلاق بالتربية.

ويتفق الفلاسفة والعلماء والمربون على أهمية الأخلاق فى حياة الفرد والمجتمع ويكاد أن يجمعوا على أنما همى الهدف الأسمى للتربية والتعليم فليس ثمة درس يتعلمه الإنسان ولا عادة يكتسبها أهم من الحكم الصائب على الأمور والإبتهاج بالأخلاق الكريمة والفعال النبيلة كما يقول أرسطو طاليس.

تعريف علم الأخلاق:

لما كان كل علم من العلوم لابد أن يوضع له تعريف يحدده عما عداه من علوم. كان لابد أن يختص علم الأخلاق بتعريف وتحديد معين يصير به ذلك العلم جامعاً مانعاً أى مانعاً من دخول مسائل العلوم الأخرى وجامعاً لكل ما يندرج تحته من مسائل وموضوعات.

ولذلك انفصلت عن مجموعة المعارف الإنسانية دائرة خاصة من المعارف هو ما يعرف بعلم الأخلاق إلا أن التطور التاريخى لذلك العلم وتأثره بمناخ كل طور من أطوار الحياة الإنسانية جعل دائرة ذلك العلم تختلف كما وكيفا بإختلاف العصور والأطوار تبعا لإختلاف التصورات وإتساع المفاهيم أوصيغها من أجل ذلك اختلفت تعريفات علم الأخلاق وتعددت تحديداته فهناك من يرى أن علم الأخلاق هو علم العادات.

وأصحاب هذا الرأى تأثروا بالأصل الإغريقى لكلمة ايتوس ومعناها العادة. أما الكاتب الفرنسى باسكال فيعرفه بأنه علم الانسان أما من عرفه بأنه علم الخير والشر فتعريفه لا يفى بموضوعات هذا العلم لأنه لايقف عند حد الكشف عن حقيقة كلا من الخير والشر فقط.

وهناك من عرفه بأنه دراسة الواجب والواجبات وهو تعريف قاصر لإهماله تقييم الأعمال الإنسانية. على ضوء تحديده لقيمة كل من الخير والشر وقد عرفه البستانى بأنه العلم بالفضائل وكيفية اقتنائها ليتحلى بها الإنسان والرذائل وكيفية توقيها ليتخلى عنها. ولكن هذا التعريف لم يوضح كيفية التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل وماهى أمثل الطرق لذلك .

ويرى الدكتور بيصار أنه من الممكن وضع تعريف عام يصور الإطار العام. لهذا العلم فيقول(١) " انه العلم بالفضائل وكيفية اقتنائها ليتحلى بها الإنسان والعلم بالرذائل وكيفية توقيها ليتخلى عنها والإلمام بقواعد السلوك

---

(١) العقيدة والأخلاق ص٢٢٤.

الإنسانى وبالمقياس الذى تقاس به أعمال الإنسان الارادية فيحكم عليها بأنها خير أو شر مع تحديد الجزاء لكل منها".

وموضوع علم الأخلاق هو الأعمال الإرادية الصادرة عن تفكير وروية فيحكم عليها أنها خير أوشر.

أما الغاية من علم الأخلاق فهى تحقيق السعادة النفسية والطمأنينة القلبية للإنسان وتهيئة الحياة الآمنة والعيشة الراضية فى حياته العاجلة وحياته الآجلة.

إن علم الأخلاق أشبه بعلم الطب يعرف المريض حالته المرضية ويصف له الدواء وطرق الوقاية وللمريض بعد ذلك الخيار إن شاء اتبع إرشادات الطبيب لتتحسن صحته وإن شاء لم يفعل ولايمكن للطبيب اجباره على اتباع ما أرشده اليه. وكذلك علم الأخلاق فى مقدروه أن يجعل كل إنسان صالحاً إذا كانت له إرادة تدفعه إلى أن يأتمر بأوامره وينتهى بنواهيه. فدراسة علم الأخلاق تضيئ لنا السبيل الى حل المشكلات المتعلقة بسلوكنا اليومى واختيار الحلول التى ترضى الضمير.كما أنه يعين على تقوية الارادة فتكون لنا قوة لكف النفس عن الهوى.

تقسيم علم الأخلاق:

ينقسم علم الأخلاق إلى قسمين .. أ- نظرى ب- وعملى

١ - فالجانب النظرى من علم الأخلاق يختص فى البحث فى ماهية الخير والشر ووضع قواعد السلوك ومقاييس الأعمال وبالبحث فى الضمير الإنسانى حقيقته ومظاهره كما أنه يعنى بتحديد غاية الإنسان من هذه الحياة وكماله الذى ينشده والتى يتحقق به سعادته.

٢- أما الجانب العملى فيختص بالرقابة على الممارسة للجانب النظرى ومدى تطبيقه فى الحياة الواقعية للفرد والجماعة بحيث يكون من شأنه الحكم بمطابقة الفعل أو عدم مطابقته لقانون الأخلاق. ولهذا اعتمد المربون والمرشدون على علم الأخلاق فى شئون التربية والتهذيب بالعناية بالجانب العملى التطبيقى من سلوك الأفراد والجماعات بجانب عنايتهم بالجانب النظرى منها.

الخلق:

عرفه ابن مسكويه (١) بأنه " حالة للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية"

وعرفه الغزالى (٢) " هيئة للنفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة من غير حاجة إلى فكر وروية ".

---

(١) تهذيب الأخلاق ص٢٥.

(٢) الاحياء جـ٣ ص ٣٩.

ويعرفه ابن عربى[١] " حالة للنفس يفعل الإنسان به أفعاله بلا روية ولا إختيار".

إذن فالخلق هو هيئة راسخة فى النفس تصدر عنها الأفعال الارادية الاختيارية من حسنة وسيئة وجميلة وقبيحة وهى قابلة بطبعها لتأثير التربية الحسنة والسيئة فيها. وهى إذا بذلك اذا ماربيت هذه الهيئة على ايثار الفضيلة والحق وحب المعروف والرغبة فى الخير وروضت على حب الجميل وكراهية القبيح أصبح ذلك طبعا لها تصدر عنها الأفعال الجميلة بسهولة ودون تكلف وقيل فيه خلق حسن ولذلك ذهب بعض علماء النفس المحدثين أن الخلق عامل يؤثر فى سلوك الإنسان وفى مقدرته على تكييف نفسه للبيئة.

عوامل التأثير فى الخلق:

العادة - البيئة - الوراثة .

(١) العادة

يقول ابن خلدون فى المقدمة " ان أهل البدو أقرب إلى الشجاعة من الحضر وأصله أن الإنسان ابن عوائده ومألوفة لا ابن طبيعته ومزاجه فالذى الفه فى الأحوال حتى صار خلقا وملكة وعادة تنزل منزلة الطبيعة والجبلة ويقول ابن سينا " ويمكن للإنسان متى لم يكن له خلق حاصل أن يحصله لنفسه ومتى صدمت نفسه عن خلق صار حاصل جاز أن يشغل بارادته عن ذلك الى ضد ذلك الخلق".

---

(١) المقدمة ص ٢.

أما ابن مسكويه فيرى أن الحالة النفسية " مايكون منها مستفاداً" بالعادة والتدرب وربما كان مبدؤه بالروية والفكر ثم يستمر عليه أولا فأولا حتى يصير ملكة وخلقا .

ومن هنا يظهر علاقة التربية بالأخلاق ومسئولية المربيين فى تكوين الأخلاق الحميدة فى نفوس الأفراد والجماعات كما يظهر أثر القدوة والمحاكاة والتقليد.

(٢) البيئة والوراثة

ينطبق على الإنسان قانون التكييف العام لكل كائن حى "يكيف الكائن الحى نفسه حسبما يحيط به ليعيش فبيئة الإنسان هى كل ما يحيط به ويؤثر فيه بطريق مباشر أو غير مباشر فكل ما يؤثر فى الانسان أو يعمل على تكييفه وتكوين صفاته يعد بيئة له. وعامل من عوامل تكوينه الخلقى سواء كانت البيئة طبيعية أو اجتماعية أما الوراثة فهى انتقال بعض خصائص الأصل الى الفرع قل ذلك أم كثر وذلك عن طريق الغرائز المودوعة فى فطرة الإنسان أو العادات التى ورثها عن أصوله إذن الوراثة تمد الإنسان بمادة خام من الغرائز والاستعدادات المختلفة وتهئ البيئة الفرص المواتية والجو المناسب ليكون خيراً أو شريراً.فالبيئة والوراثة موردان هامان لأخلاق الإنسان.

المسئولية والسلوك:

تنقسم أفعال الإنسان إلى إرادية ولا إرادية والأعمال الإرادية هى التى تقع تحت المسئولية التى هى حالة للمرء يكون فيها صالحا للمؤاخذة على أعماله وتنقسم المسئولية إلى مسئولية دينية وهى الالتزام بأوامر الدين ونواهيه ملتزما بالجزاءات والعقوبات المقررة لمخالفة ذلك الوارد فى الدين.

والقسم الثانى المسئولية الإجتماعية وهى الإلتزام بقوانين المجتمع ونظمه وتقاليده ملتزما بالعقوبات التى شرعت لمن خرج عن هذه القوانين. ومصدر هذه المسئولية هو المجتمع.

والقسم الثالث مسئولية أخلاقية وهى حالة تمنح الإنسان من القدرة امام نفسه ما يعينه على تحمل تبعات أعمالها وآثارها ومصدر هذه المسئولية هو الضمير.

تعريف الضمير :

يلاحظ الإنسان أن فى أعماق نفسه قوة تحذره من فعل الشر فإذا أصر على عمله أحس بانقباض نفسه أثناء العمل لعصيان تلك القوة حتى إذا أتم العمل أخذت هذه القوة توبخه على الإتيان به وبدأ فى الندم هذا هو ما يسمى بالضمير. وأوامر الضمير تختلف بإختلاف الحالة الإجتماعية للأمة وعرفها ودرجة رقيها فيأمره ضميره أن يفعل كما يفعلون .

كما يتأثر ضمير كل إنسان بدرجة عقله وعمله وعلمه فكلما زاد علم الإنسان ونمى عقله إرتقى ضميره ذلك لأن الخبرة والتجربة توسع عقله فيتبع ذلك ارتقاء ضميره حتى قد يأمره بعد هذه التجارب بما كان ينهاه عنه من قبل وينهاه عما كان يأمره به. فالضمير له من السلطان ما يجعله مصدرا للمسئولية ورقيبا على الفعل مثيبا أو معاقبا.

ولقد عرفه الإنجليزيان شافتسبرى وهتشون والفرنسى جان جاك روسو بأنه قوة فطرية غريزية موضوعها الخير والشر لا تستند إلى كسب وإنما هى مشترك بين جميع الناس وإن اختلفت فيهم قوة وضعفا. ويؤخذ على هذا الرأى أن حاسية الضمير لاتضمن الصواب فى احكامه كما هو شأن سائر الحواس وبعض العلماء ينكر فطرة الضمير حسيا كان أو عقليا ويقررون كسبيئة بمعنى إنه قوة من قوى الشعور اكتسبها الإنسان واستفادها من المران وبالتجربة وهناك مذهب ثالث ذهب إليه الألمانى كانت وفيه يتفق مع المذهب الأول فى القول بفطرية الضمير ويخالفه فى القول بأنه حاسة ويقرر أنه قوة عقلية ولدت مع الإنسان وطبعت فى خلقه الأول.

والمذهب الثانى يؤخذ عليه أنه لو كان الضمير كسبيا لوقع اختلاف الناس فى تقييم الفضائل والرذائل باختلاف العصور والأمم والبيئات.

أما الرأى الذى قال به كانت فهو قريب مما قاله الغزالى بأنه "يعتقد فى قوة يسميها تارة نورا الهيأ وتارة أخرى معرفة. الهية تستند قيادة المرء فى

أعماله وهدايته الى سوء السبيل مما يبيح القول بأنه قابل للتأثر فى نموه وكمال حقيقته بعوامل التربية".

السلـــــــــوك:

لقد عرف بعض العلماء الخلق بأنه حالة للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية. من هذا التعريف يتبين لنا أن الخلق فى حقيقته وذاته حـ باطنية. أو أمر داخلى تشتمل عليه النفس وصفة تقوم بها فتطبعها بطابع معين يميل بها إلى فعل الخير أو الشر.

إلا أن أفعال الإنسان الظاهر تختلف عن هذا الأمر الباطنى فالخلق فى مفهومه وماهيته شئ والفعل الذى من شأنه أن يصدر عنـه ويكـون مظهـرا لـ شئ أخر.

هذه الأعمال الظاهرة هى ما يطلق عليها السلوك وهى لا تسمى سلوكاً إلا إذا كانت صادرة عن إرادة أما إذا صدر عن المرء من غير إرادة يكون تصرفاً تدفع إليه الغرائز ولذلك عرف العلماء السلوك بأنـه الأعمال الارادية للإنسان المتجهة نحو غاية معينة مقصودة.

ويختلف السلوك من فرد لآخر تبعا لاختلاف الأفراد فيما يرثون من الدوافع والأمزجة والقدرات وتبعا لما يتكون لديهم من العواطف وما يتلقونـه من بيئاتهم.

وسلوك الفرد يتطور ويرتقى تبعا لنمو الفرد وتطوره وإرتقائه ومن ثم يختلف السلوك عند الفرد من طور الى طور أى أن سلوك الفرد يمر أثناء النمو بأطوار يختلف بعضها عن بعض تصل هذه الأطوار إلى أربعة مستويات:

المستوى الأول وهو مرحلة السلوك الغريزى.

المستوى الثانى ويشمل المرحلة التى يتعدل فيها السلوك الغريزى بالثواب والعقاب ثم المستوى الثالث والتى يتعدل فيها السلوك بالمدح والذم وبعلامات الغضب والرضا ثم نصل إلى أرقى المستويات وفيه يقوم المرء بعمله تحقيقا لأغراض ومبادئ خاصة بصرف النظر عما قد يقع من ثواب أو عقاب أو مدح أو ذم. وبصرف النظر عن رضاء المجتمع أو غضبه.

وبناء على ذلك فالنمو الخلقى يسير فى مراحل أربع هى :

١- مرحلة الحذر وفيها يسيطر الطفل على سلوكه خوفا من النتائج.

٢- مرحلة السلطة وهنا يتحكم فى أفعال الطفل سلطان البالغين .

٣- المرحلة الإجتماعية ويصل اليها بإتساع دائرته الإجتماعية وسرعان ما يكتشف أن أفعاله يجب أن تكون مسايرة لما يراه الرأى العام.

٤- المرحلة الذاتية أو الشخصية وهى أرقى المراحل فى النمو بالخلقى يصل اليها الفرد وفيها يستطيع التحكم فى دوافعه ومعنى هذا أن مسلكه يخضع لمثل أعلى كونه الفرد لنفسه وتكون أفعاله متفقة مع أفعال تلك الشخصية التى اتخذها مثلا أعلى له وإذا احتاج الأمر تجد أنه لا يعبأ بالرأى العام وأنه يهمل عناصر السلطة ويحتقر جميع أنواع النتائج المختلفة.

نشأة التفكير الأخلاقى:

يعتبر المؤلفون الأوربيون أن سقراط هو أول من تكلم فى علم الأخلاق كلاما له قيمته بل يعتبرون سقراط واضع علم الأخلاق وقد صرح بأن الحياة الخلقية تعتمد على أصلين: قوانين الدولة المكتوبة والقوانين الالهية غير المكتوبة وانتهى إلى أن الفضيلة وليدة المعرفة أى أنها أمور يمكن تعلمها وتعليمها. ولقد حرص سقراط على إيجاد مقياس مناسب ثابت تقاس به خيرية الأفعال وشريتها. كما اهتدى سقراط بالعقل إلى الحقائق الثابتة فى مجال المعرفة توصل عن طريقه الى القيم المطلقة فى مجال الأخلاق.

وكان يرى أن الأخلاق لا تكون صحيحة إلا إذا أسست على العلم حتى انه كان يذهب إلى أن الفضيلة علم والرذيلة جهل ثم جاء أفلاطون وكانت آراؤه فى الأخلاق مبنية على المثل ويقابل بين العالم المحسوس والعالم المعقول ولا يجد الخير إلا فى العالم العلوى المعقول. حيث نجد المثل تتدرج نحو الاله الخير الصانع. ثم جاء أرسطو طاليس وهو تلميذ أفلاطون أسس مذهبا خاصا يسمى أتباعه بالمشائين وقد بحث فى الأخلاق ورأى أن الغاية الأخيرة التى يطلبها الإنسان من أعماله السعادة وطريق نيل السعادة استعمال القوى العاقلة.

وفى عهد المسيحية أعجبت الأفلاطونية المسيحيين لما فيها من روحانية تتفق مع روح المسيحية فهى تعتمد على مبادئ ثلاث فكرة الذنب الموروث والدعوة إلى محبة الناس كافة والتسامح والاعتقاد فى الثواب والعقاب فى الآخرة.

فالأخلاق فى عهد المسيحية كانت تسلك طريقين: الأول محاولة الرقى بالإنسان نحو الكمال والثانى التسليم بأن المعصية موروثة وأن الخلاص منها بيد الله. وكلا الطريقين يستند غلى وجود الله ويعتبر أنه تعالى الأصل فى الأخلاق ولذلك كان الكثير من آباء الكنيسة فلاسفة أخلاق وكانت فلسفتهم مزيجا من تعاليم اليونان وتعاليم المسيحية ثم جاء الفلاسفة المحدثون وعلى رأسهم ديكارت الذى ربط بين الأخلاق وبين مابعد الطبيعة وجعل الله وهو الكمال المطلق أصل الأخلاق.

وهوبز الفيلسوف الانجليزى ممن يعتبرون الدين مصدر التشريع الخلقى وأن الفعل الخلقى يعتبر خيرا لأن الله يريده وبذلك يتفق مع الإرادة الالهية.(١) -

وفى العصر الحديث على الرغم مما يسود العالم من فلسفة مادية ملحدة تحاول تفسير كل شئ نجد المسلمين يردون كل شئ الى الله ويجعلون الواحد القهار الرحمن الرحيم أصل الأخلاق.

وتستمد الأخلاق فى الاسلام طبيعتها وصنيعها من طبيعة الإيمان بالله والإسلام هو المجال الوحيد للأخلاق الصحيحة التامة الكاملة والأخلاق الإسلامية تمتاز بأن الدين هو الذى صبغها والتقوى محورها لها خصائص مميزة. انها السعادة التى تجعل الحياة الدنيا جنة صغيرة يجتازها الناس إلى الحياة الآخرة التى ينعمون فيها بما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر.

---

(١) التربية فى الإسلام ص ١١١. د. أحمد فؤاد الأهوانى.

والدين والأخلاق حقيقتان لا تنفصلان فى الديانة الإسلامية كما تتلازمان في جميع الأديان وهناك أديان سادت فى شعوب مختلفة وتدمها الناس زمانا بعد زمان وليس فيها من أصول الدين الانزر يسير الى جانب مافيها من حكمة خلقية وفضائل نفسية مثال ذلك ديانة الصين وهى الكونفوشيوسية. وهى مجموعة فضائل لم تنزل وحيا من الله ولكن بثها حكيم الصين لخير الإنسانية.

والدارس للإسلام يرى أنه فصل الكلام فى المسائل الإخلاقية الرئيسية التى تناولها القدامى والمحدثون فيه بيان عن البواعث الأخلاقية وعن الأصل الأخلاقى للسلوك الإنسانى وفى الغاية من الفعل الأخلاقى كما ينظر فى الحكم الأخلاقى وجماع هذه المبادئ الأربعة نجدها في القرآن الكريم "ما فرطنا فى الكتاب من شئ ".

والأخلاق الاسلامية لها ميزاتها الخاصة فمن مميزاتها الخير المطلق للناس جميعا فى كل زمان ومكان وتمتاز بالثبات لأنها نابعة من الدين ولأن المشرع الحكيم راعى فيها كفالة الخير الدائم العام بخلاف المذاهب الوضعية التى تكشف الأيام عن تقلبها واضطرابها وقصورها وعدم صلاحيتها ولهذا تعددت فى العصر الواحد وفى مختلف العصور.

كما تمتاز الأخلاق الإسلامية بالإلزام المحبوب المطاع لأنه أمراً ونهى من الله قد ربى المجتمع عليه وأخذ نفسه به وخضع له وأيقن أن خضوعه يحقق الخير للفرد والجماعة ويقرب من ثواب الله وتمتاز كذلك الأخلاق الإسلامية بأنها امتع حصانة من الأخلاق الوضعية لأن الهيمنة عليها أشد

وأقوى فلا يجترئ إنسان على مخالفتها إلا بعد تردد واحجام ثم يندم وقد يجره الندم الى توبة نصوح لارجعة بعدها إلى الآثام.

المذاهب الأخلاقية:

اختلف الباحثون منذ القدم فى الأساس الذى يقوم عليه صرح الأخلاق فتعددت الآراء ولم تسلم من النقد ومن هذه الآراء:

الرأى الذى يقول أن العرف هو أساس الأخلاق والعرف هو مجموعة العادات المختلفة فى المأكل والملبس والسلوك مما اصطلح شعب من الشعوب على إتباعه ولكل أمة عرفها وتقاليدها ونظمها وعاداتها فى السلوك والأعمال نشأت وتكونت فى عصور طويلة ثم إنتشرت ورسخت فى النفوس حتى أصبحت بها واجب على كل فرد. وقد عاون على توطيد دعائم العرف فى النفوس وتقوية سلطانه عدة عوامل بعضها يخص الفرد وبعضها يخص الجماعة . فمن ناحية الفرد ميله إلى التقليد بالطبع والفطرة كما أن ميل الأفراد إلى الإندماج فى الجماعة يدفعه إلى أن يعمل على أن يكون مثلهم لا يشذ عنهم فى عادة أو عرف أو سلوك يجلب عليه سخطهم.

أما المجتمع فيعين على توطيد العرف بالتربية والتعليم فالآباء والأمهات يأخذون صغارهم من بالنشأة بما يقضى به العرف حتى يشبوا عليه متمسكين به كما أن الرأى العام يعين على تثبيت العرف والعادات القومية بإستحسانه أفعال الإنسان التى توافقه وترضيه وإستهجانه لما يشذ عنه ويخرج عليه. فالفرد والمجتمع يشتركان فى تثبيت قواعد العرف حتى تصبح مقياسا للخير

والشر ولكن هذا المقياس مضطرب فهو يتغير بإختلاف البيئة والعصر فقد كان شرب الخمر عرفا عند العرب فى الجاهلية فحرمها الإسلام فهذا المقياس معيب لأنه لا ثبات له والرأى الثانى يرى أن المنفعة المادية أساس الأخلاق وينكرون الأساس الروحى ويعدونه نزعات فردية لا تصلح أن تكون اساساً عاماً للناس كافة. وهنا الخطر كل الخطر لأنه فى هذه الحالة العلاقة بين الأفراد تقوم على اساس النفع المادى القائم على الأنانية وإنتهاز الفرص وتجاهل الخير الذى يناله الآخرون فلا تعاطف ولا إخاء ولا ثقة ولا سلام.

والرأى الثالث يرى أن أساس الأخلاق هو السعادة العامة أو السعادة الشخصية والسعادة عندهم هى اللذة والخلو من الألم والعمل يكون خيرا بقدر ما يحقق من لذة وشر وبقدر ما يسبب من الم وهذا المذهب مبنى على الآثرة وانها لشر يرفضه الخلق الكريم لأن الذى يفعل الخير لغيره مجلبة للذة فإنه يفعل خيرا لنفسه لا للناس فهو يجود أو يعف ليكسب ثناء. أو ليشعر بالتعالى والتفوق وليس هذا من اللذة.

والرأى الرابع ما يذهب إليه بعض فلاسفة الغرب من أن دعائم الأخلاق هو القوة فللأقوياء أخلاق لا يليق لها العبيد والعكس صحيح وإن هذا لمعيب فقد قسموا البشر إلى أقوياء وضعفاء وفصلوا بينهم فصلا لا تقره الإنسانية وتقيم بين الأقوياء والضعفاء سدا لا ينفذ منه تراحم ولا تعاطف ويجعل القوى يبطش بالضعيف.

أما الغزالى وبعض علماء الملسمين فيرى أن الأخلاق تنشأ من إعتدال الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ويعد هذا المذهب أكثر شيوعا بين الدارسين منذ وضع أرسطو مقياسا للأخلاق وأساسا للفضائل.

القرآن أصل الأخلاق الإسلامية:

الأخلاق نظرية وعملية ولم ينص الإسلام على أخلاق نظرية منفصلة يتبعها السلوك العملى ويستمد قوته من تلك النظريات المقررة وإنما رسم للناس قواعد العمل الصالح الذى ينبغى أن يسيروا عليه. والقرآن الكريم زاخر بهذه القواعد العملية. فالإسلام هو الإيمان يضاف إليه العمل الصالح.

والقسم الخاص بالأخلاق فى القرآن الكريم ينظم أفعال المرء مع نفسه وأفعال المرء مع غيره فهى أخلاق شخصية وإجتماعية يقول جولدزيهر "أنه إذا أردنا الانصاف فينبغى أن نؤمن بأن فى مذهب الاسلام قوة صالحة توجه الإنسان نحو الخير وأن الحياة المتفقة مع التعاليم الإسلامية حياة أخلاقية لاغبار عليها ذلك أنها تتطلب الرحمة نحو جميع مخلوقات الله والوفاء بالعهود والمحبة والاخلاص وكف الغرائز الاثانية والحث على الفضائل التى أخذها الإسلام من الديانات التى اعترف لأصحابها بالرسالة.

والمسلم الصالح هو الذى يحيا حياة يحقق فيها مطالب خلقية قاسية".

لقد أحصى القرآن الكريم الفضائل وحث أتباعه على التمسك بها لأن الإسلام جاء لينقل البشر إلى حياة مشرقة بالفضائل والآداب ومن هذه الفضائل على سبيل المثال لا الحصر : الصدق – الأمانة– الحياء– الرحمة– العزة– الوفاء– الإخلاص.

أولا: الصــــــدق

يقول صلى الله عليـه وسلم "دع مـا يريبـك إلا مـالايريبك فـإن الصـدق طمأنينة والكذب ريبة".

وقال تعالى " ومالهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنـى عن الحق شيئا" (النجم- آية ٢٨).

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم " أيكون المؤمـن جبانـا؟ قـال نعـم قيل له أيكون المؤمـن بخيـلاً قـال نعم. قيـل لـه أيكـون المؤمـن كذابـا قـال لا.

والإسلام يوصى أن تغـرس فضيلـة الصـدق فـى نفـوس الأطفـال. حتـى يشبوا عليها وقد ألفوها فى أقوالهم وأحوالهم كلها.

عن ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها قـال "مـن قـال لصبى تعال هاك ثم لم يعطـه فهى كذبة".

فانظر كيف يعلـم الرسـول صلـى اللـه عليـه وسـلم الأمهـات والآبـاء أن ينشئوا أولادهم تنشئة يقدسون فيه الصدق وقد أحصـى الشـارع مزالـق الكـذب وأوضح سـوء عقباهـا حتـى لا يبقـى لأحد منفذ الـى الشـرود عـن الحقيقـة أو الاستهانة بتقريرها.

فالمرء قد يستسهل الكذب حين يمـزح أو يمـدح أو فـى بيـان سلعة عند البيع.

والحيف من الشهادة من أشـنع الكـذب. والاسـلام طـارد الكذابيـن وشـدد عليهم بالنكير.

قال رسـول اللـه صلـى اللـه عليـه وسـلم "تحـروا الصـدق وإن رأيتـم أن الهلكة فيه فإن فيه النجاة".

قال صلى الله عليه وسلم "عليكم بالصدق فـإن الصـدق يهـدى إلـى البر والبر يهدى إلى الجنة".

ثانيا: الامانـــــة

من معانى الأمانة وضع كل شئ فـى المكـان الجدير بـه أو هـى شـعور المرء بأنه مسئول أمام ربه . ومن معانيها الحرص علـى أداء الواجـب وحفـظ ودائع الناس وحفظ حقوق المجالس التى تشارك فيها فالأمانة فضيلة ضخمة لا يستطيع حملها إلا العظماء .

عن أنس قال "ماخطبنا رسول اللـه صلـى اللـه عليـه وسـلم إلا قـال: لا إيمان لمن لا أمانة له ولادين لمن لاعهد له" .

وقال تعالى "إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا. (الأحزاب- آية٧٢).

ثالثا : الرحمـــة

قال الرسول صلى الله عليه وسلم " لا تنزع الرحمة إلا من شقى" ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيما .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لن تؤمنوا حتى ترحموا قالوا يارسول الله كلنا رحيم قال إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه لكنها رحمة عامة".

والرحمة فى أفقها الأعلى صفة المولى فإن رحمته شملت الوجود وعمت الملكوت فكثير من اسماء الله الحسنى ينبع من معانى الرحمة والعفو والفضل والكرم.

"وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين" (المؤمنون - آية ١١٨)
وكانت صلاة الملائكة للمولى سبحانه وتعالى "ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم" (غافر-آية٧)

ونبه الإسلام أن من المخصوصين بالرحمة هم ذو الأرحام والأنبياء والوالدين والأقرباء والتيامى والمرضى وذو العاهات .

قال تعالى فى الرحمة بالوالدين " واخفض لهما جناح الذل من الرحمة رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا" (الاسراء- آية ٢٤).

عن أبى هريرة "قبل رسول الله الحسن أو الحسين بن على وعنده الاقرع بن حابس التميمى فقال الأقرع: إن لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا قط. فنظر اليه رسول الله وقال "من لايرحم لايُرحم".

وعن ابى هريرة أن رجلا شكا إلى الرسول قسوة قلبه فقال" امسح رأس اليتيم واطعم المسكين".

وفى الرحمة بذى العاهات قوله تعالى "ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار ومن يتولى يعذبه عذاباً أليماً".

إن القسوة فى خلق الإنسان دليل نقص كبير وحذرنا الله والرسول منها لأنها جفاف فى النفس .

قال صلى الله عليه وسلم "إن أبعد الناس من الله تعالى القاسى القلب" لذلك قال الله فى الرسول "فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك" (آل عمران- ١٥٩).

وليس معنى الرحمة أنها شفقة تنكر العدل والنظام إنها عاطفة ترعى كل هذه الحقوق حتى لا ينتشر الفساد في الأرض "ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون" (البقرة- آية ١٩).

رابعا: العزة والحياء

العزة من أبرز الخلال التى نادى بها الإسلام وغرسها فى أنحاء المجتمع وتعهد نموها بما شرح من عقائد وتعاليم ومن تحريمه على المسلم أن يهون أن يستذل .

قال صلى الله عليه وسلم "من جلس إلى غنى فتضعضع له لدينا تصيبه ذهب ثلثا دينه ودخل النار".

وقوله تعالى "إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيما كنتم؟ قالوا: كنا مستضعفين فى الأرض قالوا: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا" (النساء- الآيات ٩٧: ٩٩).

أما الحياء فهو أنواع الحياء فى الكلام بالقصد بالتحديث فى المجالس وخجل الإنسان من أن يؤثر عنه سوء ومن الحياء أن يعرف لاصحاب الحقوق منازلهم ويؤتي كل ذى فضل فضله.

وإذا سقطت صبغة الحياء عن الوجه فقد آذنت الحياة الفاضلة بالزوال . قال الرسول صلى الله عليه وسلم "الحياء والايمان قرناء جميعا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر".

لقد تكلم الاسلام بجانب ماسبق عن الوفاء والاخلاص والحلم والصفح والجود والكرم والصبر والعفاف والقصد والإخاء والحب والاتحاد واختيار الصديق والدارس لكتاب الله وسنة نبيه يجد فيه جميع عناصر تربية الخلق النبيل ومعالم السلوك الطيب فإن الأخلاق لحمة الإسلام وسداه وليست إطارا يصون حدوده ومغناه كما يقول الأستاذ محمد الغزالى فى كتابة خلق المسلم.

إن فلسفة التربية الأخلاقية فى القرآن الكريم والسنة المطهرة تهدف إلى تنمية الجانب الفطرى فى الإنسان نحو الخير وتنمية إرادته لإختيار الحق والخير فهى فلسفة تقوم على الفهم والتعقل وحرية الإرادة مع مراعاة مراحل النمو الإنسانى كما أن الاخلاق فى الإسلام ليست سلوكاً خلقيا مجرداً أو يقوم على الخوف والرجاء وإنما يترجم عن نفسه فى علاقات الإنسان بغيره وبيئته وفى نظرته إلى نفسه وإلى الظروف المختلفة التى تحقق له النمو أو تعوق هذا النمو. فالعدل والخير والأمانة والصدق والمحبة وغيرها من القيم الثابتة والمقررة فى الدين لابد أن ترتبط بالواقع الذى يعيشه الفرد حتى يؤمن بقيمتها العملية إلى جانب إيمانه بقيمتها النظرية وبذلك يرتبط النظرى بالعملى الواقع فلا ينبغى لتلك القيم أن تنحصر فى قيمتها العقلية وإنما ينبغى أن تكون لنا بمثابة طرق للعمل نجربها فى ازالة أسباب الفساد ومصادر المتاعب لأن

الوظيفـة الاجتماعيـة للقيـم الخلقيـة تعنـى نظـرة متكاملــة للإصــلاح والتغيــير الاجتماعى.

فالقول بأن الأخلاق تنبع من داخل الفرد يعنى التسليم بأن تطهير النفس وتصفيـة القلـب يـؤدى بصـورة آليـة إلـى تغيير النظـم الإنســانية قـول جانبـه الصواب كما أن القول بأن الإنسان ثمرة البيئـة حيـث أنـه قـابل للتشـكيل بفعـل قواها وعواملها المختلفة يعنى سلب الإنســان مـن إسـتعداداته وفاعليتـه وإنكـار أثره فى هذه البيئة.

والحقيقة أن السلوك تفاعل بين الإنسان والبيئة فهناك قوى داخل الإنسان وقوى خارجة عنه والخير فـى التلائـم بيـن الجـانبين فـالإصلاح عمليـة شـاملة متكاملة تشـمل الاصـلاح الاخلاقـى فـى الفـرد والإهتمـام بـإصلاح المؤسسـات الاجتماعية فى نفس الوقت فالتفاعل بين الفرد والبيئة هو موضوع القيم الخلقية وهو مجال التغير والتغيير.



[الفصل الثانى]

مصادر الفكر التربوى الإسلامـــى

لسنا نغالى إذا قلنا أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما الأصل الذى نستمد منه تربيتنا الإسلامية فقد تضمن القرآن الكريم والسنة الشريفة أصولا تربوية معينة تشكل أسس النظرية التربوية الإسلامية وهذه الأصول خطوط عريضة تسمح بالاجتهاد وتساير التطور وتلبى حاجات المجتمع. لنباء نظرية تربوية ذات فلسفة متميزة وأهداف واضحة محددة هذه الفلسفة جزء من فلسفة الإسلام الكلية عن الإنسان والكون والحياة فقد خلق الله الإنسان ليكون خليفته فى الأرض يستغلها ويشكف أسرارها وأسرار العوالم المحيطة بها ليرى آيات الله فى ذلك كله. ولذلك فطر الله الإنسان على صورة تؤهلة للتلقى عن الخالق والتعامل مع العوامل المحيطة به وزوده بالقدرات العقلية والنفسية والحسية التى تمكنه من ذلك ومنحه حرية العمل والتطبيق .

وفطر الله الانسان للانجذاب لطاعته ومحبته والانجذاب للخير والفضيلة أما المعصية والرذيلة وانقطاع الصلة مع الله فلا جذور لها فى التصميم والايجاد الانسانى ومصدرها فترات الضعف النفسى والعقلى التى تنتاب الانسان ولذلك فهو بحاجة إلى التوجيه والرعاية والابقاء على عوامل التوازن النفسى والعقلى والجسدى والتربية هى وسيلة هذا الايمان واداة الاعداد لاتقان الصالحات من الأساليب والممارسات.

أولا: القرآن الكريم

يعتبر القرآن الكريم دستور حياة المجتمع الاسلامى لما حواه من عقائد يجب الإيمان بها كالإيمان بالله وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبما حواه من الأخلاق الفاضلة التى تهذب النفوس وتصلح من شأن الفرد والجماعة

وتحذر من الأخلاق الفاسدة مثل دعوته إلى الطهارة للنفس والعفة والصدق والتواضع وغيرها مما سيأتى الحديث عنها فيما بعد.. كذلك
دعوته إلى النظر والتدبر فى ملكوت السموات والأرض.
ماحواه من قصص الأولين ليرشد إلى سنن الله فى معاملة خلقه للصالحين منهم والفاسدين.

احكام عملية تتصل بما يصدر عن الإنسان من قول أو فعل وأحكام متعلقة بالصلاة والزكاة والصوم والحج فالقرآن الكريم احتوى أسس فكرية واسس تعبدية وأسس تشريعية يستفاد منها فى عملية التربية الاسلامية.

فالتربية الإسلامية هى تنمية فكر المسلم وتنظيم سلوكه وعواطفه فهى عملية تتعلق قبل كل شئ بتهيئة عقل الإنسان وفكره وتصوراته عن الكون والحياة وعن دوره بهذه الدنيا ومن غاية هذه الحياة المؤقتة.

وقد قدم القرآن الكريم هذه الأفكار فى منظومة من التصورات مترابطة متينة البنيان مما يجعله يقدم لنا أهم الخصائص للتربية الإسلامية:

أ- الأسس الفكرية التربوية فى القرآن الكريم

سنبين هنا بعض الجوانب الفكرية التى تجعل القرآن يتصدر مصادر التربية وأصولها والفكر التربوى الموجود فى القرآن الكريم ليس فكرا تربويا خالصا بالمفهوم الحديث للفكر التربوى وإنما هو فكر تربوى ممتزج بفكر سياسى وإقتصادى وإجتماعى وتاريخى وحضارى يشكل كله الإطار العام

للأيديولوجيا الإسلامية والفكر التربوى الذى جاء فى القرآن الكريم لا يأتى فكرا تربويا مبتورا منقطع الصلة بالمجتمع وانما هو فكر حى نابض يأتى ضمن تصور عام للمجتمع كما يريده الإسلام ومن هنا يستمد هذا الفكر التربوى الذى نراه فى الكتاب والسنة قيمته العلمية.

ويعتمد منهج الفكر الإسلامى على ركائز واضحة وعناصر سليمة أهمها:-

١- نظرة القرآن الكريم إلى الإنسان

يرجع أصل الإنسان إلى أصل بعيد وهو الخلق من طين والأصل القريب وهو الخلق من نطفة .

" الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين" (السجدة- آية٧)

" وإذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون. فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين" (الحجر-آية٢٨-٢٩).

" ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين". "المؤمنين آية ١٣-١٤) وبين القرآن الكريم أن الإنسان مخلوق كرمه الله " ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا" (الإسراء- آية ٧٠).

اكرمهم ..وات منها السمع والبصر والفؤاد " والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون". (النحر- آية ٧٨). وندد بالذين لا يستفيدون من سمعهم وأبصارهم وأفئدتهم وإذا كان الإنسان هو موضوع التربية فإن قيمة المصدر التربوى يمكن أن تقاس بمدى احترامه لعقل الإنسان حيث أنه هو الاداة التى بها يفهم ويتأمل ويتفكر ويتعلم ولقد نوه القرآن الكريم بالعقل والتعويل عليه فى أمر العقيدة وأمر التبعة والتكليف ولا تأتى الإشارة اليه عارضة ولا مقتضبة فى سياق الآية بل هى تأتى فى كل موضوع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة. ومن تلك الآيات:

" وآتيناه حكما وعلما " (يوسف - آية ٢٢).
" ولقد آتينا لقمان الحكمة " (لقمان - آية ١٢).
" فاتقوا يا أولى الألباب " (المائدة - آية).
" إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب" (ق- آية ٢٧).
أى عقل

"أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها وآذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور" لقد كرم الله الإنسان بأن وهبه القدرة على التعلم والمعرفة.

ويعتبر العلم من مقومات الفكر الإسلامى فالحكمة ضالة المؤمن والتعلم والتعليم روح الإسلام لإبقاء جوهره ولا كفالة لمستقبله الا بهما . والناس فى نظر الاسلام أحد رجلين اما متعلم يطلب الرشد واما عالم يطلب المزيد وليس

بعد ذلك ما يؤبه له " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " العالم والمتعلم شريكان فى الخير ولا خير فى سائر الناس.

" وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين" (البقرى - آية ٣١).

" الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان" (الرحمن - آية ١: ٣)
وحثه على التعلم والتعليم

"أفلم يروا إلى مابين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض" (سبأ-آية٩)
" وفى الأرض آيات للمؤمنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون" (الذاريات- آية ٢٠: ٢١).

فالقرآن يحرك فى نفوس الناس الشوق للدراسة وطلب المعرفة لدرجة أن بعض الباحثين أكد أن المعرفة فى الإسلام شرط لإيمانه على أساس أن الاعتقاد الحق هو الذى ينشأ عن دليل وعن فهم وإختيار وليس الموروث أو الناشئ عن إضطرار أو عن التقليد المجرد وهناك آيات توضح عددا من القواعد والمبادئ التى يجب أن يسترشد بها المعلمون والباحثون فى سعيهم للحصول على المعرفة وفى تعليمهم الآخرين من أهمها أن العالم الإسلامى يحس فى كل لحظة بأنه فى حاجة إلى مزيد من العلم "وقل رب زدنى علما" ودائما يشعر بضآلة المعرفة مهما توسع فى الدراسة دائما يهتف بقوله سبحانه "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا".

والعالم المسلم دائما يجرى وراء الحقائق لا الظنون " إن الظـن لا يغنـى عن الحق شيئا".

ومقابل هذا التكريم حمله الله مسئولية تطبيق شريعة الله وتحقيق عبادته.

"إن عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا" (الأحزاب- آية ٧٢).

ولقد جعل الله للإنسان حرية وارادة وقدرة على أن يميز بين الخير والشر فهو يسعد نفسه بالخير ويشقيها بالشر والخير هو ما ينفعه وينفع مجتمعه فى الدنيا ويرضى الله عنه فى الآخرة والشر هو ما يؤذيه فى حياته ليغضب الله عليه فى آخرته.

فالإنسان مجزيا يوم القيامة بما اختار من خير أوشر "فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره" (الزلزلة -آية ٧: ٨).

وأن يكون فى الإنسان الاستعداد للخير أو الشر فذلك معناه بروز مبدأ المسئولية الاخلاقية فالإنسان مسئول عن عمله لا يؤخذ واحد بوزر واحد ولا أمة بوزر أمة "كل امرئ بما كسب رهين" (الطور- آية ٢١) .

" تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ماكسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون" (البقرة- آية ١٣٤).

إن مناط المسئولية فى القرآن الكريم جامع لكل ركن من أركانها(١) يتغلل اليه فقه الباحثين فهى بنصوص الكتاب قائمة على أركانها المجملة : تبليغ -وعلم- وعمل فلا تحق التبعة على أحد لم تبلغه الدعوة "ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لايظلمون" (يونس- آية ٤٧).

وأول فاتحة خلق الإنسان كانت فاتحة العلم الذى تعلمه آدم وامتاز به عن سائر المخلوقات" وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك "لا علم لنا إلاماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم" (البقرة -آية ٣١: ٣٢).

وأما العمل فهو مشروط فى القرآن الكريم بالتكليف الذى تسعه طاقة المكلف وبالسعى الذى يسعاه لربه ونفسه "لايكلف الله نفسا إلا وسعها" (البقرة- آية ٢٨٦).

<u>(٢) النظرة الواقعية للفطرة البشرية مع مراعاة الحاجات الإجتماعية (التوازن بين الروح والجسد)</u>

لقد نظر القرآن الكريم إلى رغبات الانسان وميوله وغرائزه وانفعالاته نظرة واقعية ولم يضع من المبادئ والقواعد ما يقهره ويكبته ووضع هذا الواقع فى إطار يسمو بالإنسان عن الرتبة الحيوانية.

---

(١) عباس العقاد : الانسان فى القرآن الكريم (دار الهلال).

وأهمية هذا الجانب فى المجال التربوى أن أى فكـرة أو قيمـة لاتسـتطيع أن تنجح فى إكسابها للإنسان مالم تكـن علـى درايـة بطبيعتـه وواقعـه وإختيـار الأفكار والقيم التـى لا تتنـاقض تماما مـع هذه الطبيعـة وهـذا الواقـع فمراعـاة الميول والحاجات الخاصة بـالمتعلمين أصبـح الآن مـن أوليـات العلـم الـتربوى والجمهرة الكبرى من المربين تؤكد الآن ما سبق أن أكده الإسلام من أنه لابـد بالفعل من وضع واقع الإنسان فى الاعتبار ولكن لابد أيضا من اطـار يتجـاوز به المرتبة الدنيا. وهذا المبدأ واضح تماما فى الكثير مـن آيـات القـرآن الكريـم فطابقت قواعد أحكامه وأصول آدابه وشرائعه مقتضى الفطرة البشرية.

فعن الزينة والطعام يقول تعالى "يابنى آدم خذوا زينتكم عنـد كـل مسـجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لايحب المسرفين" (الأعراف- آية ٣١).

وسمح بالإلتقاء الجنسى ولكن فى أطار الزواج فليس الأمر إشباع شـهوة ولكن إشباع حاجة اجتماعية وهو إنجاب نسل لتكوين اسرة وفى الأسرة تتربى الطفولة على مشاعر الحب.

حتى العقائد لا تتكون بالارغام والقهر ومن هنا جاء قوله تعالى "لااكـراه فى الدين". (البقرة- ٢٥٦).

" أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين" (يونس- آية ٩٩).

وآيات القـرآن الكريـم تحتـوى علـى ثـراء ضخـم فـى مراعـاة الحاجـات الإجتماعية لأن توفر النزعة الإجتماعيـة فـى عقيـدة أو نظريـة مـن النظريـات

معيار هام لنجاحها ويؤكد لنا أنها تصلح أو لاتصلح أن نستهدى بها فى العمل التربوى ذلك أنه ولو أننا نربى أفرادا لكن هؤلاء الأفراد لايكتسبون هويتهم إلا بالمعيشة فى المجتمع. فالصفة الاجتماعية هى الموضوع الرئيسى الذى تركز عليه العملية التربوية.

كما أن القواعد والضوابط التى رسمها القرآن للمجتمع البشرى لم تجئ فى كثير من الأحيان مفصلة وإنما هى عمومية ومجملة حتى يمكن أن تواجه اختلاف الأزمنة والأمكنة كما أن هذا الاجمال يساعد على التطبيق بصور مختلفة يحتملها النص فيكون بإتساعه قابلاً للتطبيق بما لايخرج عن اسس الشريعة ومقاصدها فمثلا ورد نص عن الشورى السياسية فى القرآن الكريم دون تعيين شكل خاص لها فكانت بذلك شاملة لكل نظام حكومى يتجنب فيه الإستبداد ويتحقق فيه تشاور واحترام صحيح لرأى أولى الرأى والعلم فى المجتمع.

كذلك تدرج القرآن الكريم فى إنتزاع العقائد الفاسدة والعادات الضارة فقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم الى قوم يعبدون الأصنام ويشربون الخمر – ويزنون ويتزوجون نساء الآباء ويجمعون بين الأختين .... ومعلوم أن النفس يشق عليها ترك ما تعودته مرة واحدة والاقلاع عما اعتقدته بمجرد النهى. لأن للعقائد وإن كانت باطلة والعادات ولو كانت مستهجنة سلطانا على النفوس لذلك جاءت مبادئ القرآن لتتدرج مع الناس فى إنتزاع هذه العقائد.

كما تدرج فى تثبيت العقائد الصحيحة والأحكام التعبدية والإخلاقيات الفاضلة. فأمرهم أولا بالإيمان بالله وعبادته وحده حتى إذا ما آمنوا بالله دعاهم بالإيمان باليوم الآخر ثم بالرسل والملائكة ولما اطمأنت قلوبهم بالإيمان

سهل عليهم بعد ذلك تقبل الأوامر والتشريعات والأحكام العملية والفضائل السامية فأمروا بالصلاة والحج والزكاة.... الخ.

(٣) نظرة القرآن الكريم إلى الكون

الكون كله مخلوق لله خلقه لهدف وغاية .

"وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لايعلمون" (الدخان - آية ٣٨: ٣٩).

والكون كله قانت لله ومسير ومدبر بقدرة الله .

"وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له مافي السموات والأرض كل له قانتون بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون" (البقرة -آية ١١٦: ١١٧).

" ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون". (الروم - آية ٢٥).

فإذا كانت كل الكائنات والجمادات تخضع لبارئها وتشهد بعظمته فأجدر بالإنسان العاقل المفكر أن يعترف لربه بالنعمة والفضل ويستشعر عظمته ويسبح بحمده ولذلك يدعو القرآن الكريم المسلم إلى الإرتباط بخالق الكون وبالهدف الأسمى من الحياة وهو العبادة لله وحده والكون كله أقيم على أساس الحق ووجد لهدف معين وإلى أجل مسمى عند الله .

كما أن القرآن الكريم بين أن الكثير مما فى الكون مسخر للإنسان .

"هو الذى خلق لكم مافى السموات والأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شئ عليم" (البقرة -آية ٢٩).

" الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخرلكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار. وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار" (ابراهيم- آية ٣١: ٣٢).

وهذا يعلم الانسان أن يكون تأمله لهذا الكون تأملا منطقيا علميا فتكرار حوادث الكون حسب سنن سنها الله له وهذا يدفع الإنسان إلى أساس التفكير العلمى وتربى عقل المسلم على مبدأ التقنية وإستخدام القوانين العلمية وقوى الكون لرفاهية الإنسان.

٤ -نظرة القرآن الكريم إلى الحياة الدنيا

لقد وصف القرآن الكريم الحياة الدنيا بأنها دار لهو ولعب وتكاثر .

"من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا ينجون "(هود - آية١٥).

" الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر " (التكاثر- آية ١: ٢).

ووصفها بأنها مملوءة بالزينة والزخرف والشهوات للابتلاء والاختبار وانها دار كدح وتعب وهذه الصفات التى وصف بها القرآن الكريم الدنيا تربى المسلم على عادات ألا وهى عدم الاغترار بها ويكون دائما يقظا ويعمل بالدنيا على أنها دار امتحان مع عدم حرمان نفسه من خيراتها. كما أن هذه الآيات تعلم المؤمن الصبر على بلاء الحياة وأن يعمل بكل قوة لممارسة أعداء الحياة وان الغلبة للمؤمنين من عند الله .

ب- التربية العقدية والأخلاقية فى القرآن الكريم

العقيدة الإسلامية هى الركيزة الأولى فى دعائم الفكر الإسلامى وأى فكر صحيح يجب أن يأخذ فى إعتباره الإيمان بالله وحده لاشريك له والإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر ومافيه من حساب وجزاء.

وإذا تمكنت العقيدة فى النفوس فإنها ستكون المعيار الذى يحتكم اليه المسلم فى تفكيره وفى نظرته إلى الأمور.

ويرى ابن رشد بأن الكون لا يخلو من إنسان وأن الإنسانية لاتخلو من فيلسوف وينتج عن ذلك حقيقة أخرى متممة للحقيقة الأولى وهى أن الإنسان لا يخلو من عقيدة منذ يقوم فى نفسه اعتقاد راسخ فى مبدأ أو فكرة من الأفكار أو صلاحية نظام دون آخر.

ولكن إرادته تجعله مختاراً من قبول هذه الفكرة أو رفضها وهذا الاختيار القائم على حرية الإرادة ثمرة لمجهود عقلى بذله المعتقد فى مرحلة طويلة شاقة بدأت بالشك وانتهت بالجزم واليقين.

فالاعتقاد أمر كسبى طارئ على النفس وعارض لها من خارجها فالتدين إذن إمتداد لقوى النفس الثلاث الفكر والوجدان والإرادة .

نشأة العقيدة الدينية والفرق بينها وبين غيرها من العقائد:

يرى سبنسر(١) وتيلور وفريزر وغيرهم أن الصورة الأولى للتدين فى حياة الإنسان بدأت على شكل خرافة وفى إطار الوثنية البغيضة ثم أخذ الإنسان يرتقى فى تفكيره حتى وصل إلى عقيدة التوحيد.

أما لانج وشريدز(٢) وغيرهم فيرى أن دين الوحدانية والاعتقاد فى الخالق الأعظم هو أقدم الأديان التى ظهرت على وجه الأرض والدليل على

---

(١)،(٢) دراز الدين ص ١٠٢- ١٠٣.

ذلك وجود عقيدة الإله الأعلى فى القبائل الهمجية فى استراليا وأمريكا وأفريقيا كما وجد ذلك عند الاخباس الآرية القديمة ويرون أن الديانات الخرافية الفاسدة طارئة على التدين البشرى وعلى الفطرة التى فطر الله الناس عليها وهى عقيدة التوحيد.

وللعقيدة أنواع متعددة بجانب العقيدة الدينية فهناك العقائد الإقتصادية والعقائد السياسية والعقائد الإجتماعية والأخلاقية.

ولكن هناك فصل مميز بين هذه العقائد والعقيدة الدينية:

١- موضوع العقيدة الدينية يمثل حقيقة خارجة مستقلة بذاتها يضفى عليها المتدين لوناً من القدسية. وتقوم الصلة بينها وبين المتدين على اساس الصلة بين ذات هذا المتدين وذات أخرى هى الشئ المقدس (يعنى موضوع الاعتقاد).

يقول د. دراز "ان التقديس الدينى تأليــه وعبادة وأن موضوعــه الــه معبود"(١)

٢- ان العقيدة الدينية تختص بالإيمان بالغيب وتعترف بعالم الميثافيزقا يقول د. محمد بيصار "ومن هنا يتضح الفرق بين النظرة الدينية فى تكوين العقيدة وبين كل من النظرة المنطقية أو النفسية.والنظرة الطبيعية فوجهة النظر النفسية أو المنطقية لا تهتم بدراسة ماوراء حدود العقل والنفس من معان وإنما تكتفى بالبحث فيما يشتملان عليه من معان. لاتمت بصلة ما إلى عالم ماوراء الطبيعة وكذلك وجهة النظر الطبيعية التى تتخذ دائما شعارها فى المعرفة . كل مالايدركه الحس ففرض وجوده محال. ولكن وجهة النظر الدينية تنفذ إلى ماوراء ذلك كله إلى حقيقة

---

(١) الدين، ص ٣٥.

أخرى لاتجدها داخل النفس ولافى خارجها المادى وإنما هى ذات غيبية وراء الطبيعة"

والقرآن الكريم يوضح لنا أن عقيدة التوحيد مركزة فى طبائع الناس مودعة فى فطرهم منذ خلقهم الأول " فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها".

وقوله صلى الله عليه وسلم " كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه".

وهناك صلة بين العقيدة الدينية والأخلاق جعل من العقيدة أصلا وقاعدة للأخلاق وجعل الأخلاق أثراً وانطباعا من العقيدة فالعقيدة هى الأصل الذى يبنى عليه الأخلاق.

هذه الصلة الوثيقة بين العقيدة والأخلاق يجعل الانفصال بينهما أمراً مستحيلاً. لأن هناك صلة وثيقة بين سلوك الفرد أو الجماعة وبين ما يدينان به من معتقد دينى أو يؤمنان به من ديانات أو مذاهب أو قيم وليس من المعقول أن شخصاً ما يكون على عقيدة ما ثم تأتى تصرفاته مناقضة لمبادئ هذه العقيدة أو يأتى سلوكاً مخالفاً لتعاليم هذ الدين. إلا إذا كان إيمانه بهذا المعتقد تقليد للأخرين من غير تصديق قلبى أو رضى نفسى يصل به إلى حد اليقين.

أما إذا وصل به تدينه بهذا المعتقد إلى حد اليقين فإنه من المستحيل أن يناقض متقضى هذه العقيدة. وتصبح عقيدته هى القوة الدافعة التى تحثه على

السير فى طريق هذا الدين وتحضه على ممارسة الشعائر الدينية وعلى إتيان فضائل الأعمال واجتناب رذائلها. وستقوده غلى النصر والنجاح والسعادة التى عجزت المذاهب البشرية المختلفة أن تقوم بها بديلاً عن الدين.

فأى مجتمع لا يستطيع أن ينعم بالأمن وبالرخاء مالم يقم نظام حياته على الدين.

والقرآن الكريم قدم الأدلة على العقيدة التى تولد الإيمان بالله كما كون الرغبة فى الاعتقاد وكون الاتجاه نحو التطبيق العملى للعقيدة من أجل ربط الإنسان بخالقه ربطا وثيقا عن حب وخشية وتحريره من العبودية لغير الله والعمل على تكوين مجتمع فاضل يسوده الحب والإخاء والمساواة.

جـ - الأسس التعبدية فى القرآن الكريم

العبادة ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية ناشئ عن إستشعار القلب عظمة للمعبود لا يعرف مداها. واعتقاده بسلطة لايدرك كنهها ولا حقيقتها وهذا الشعور هو الذى يكفل للعبادة أن تؤدى على أنها من زيادة الإيمان بالله وتوثيق الصلة به وهذا يؤدى إلى تزكية النفس وتطهيرها فإذا فقدت العبادة هذا المعنى فقدت أسبابها وأضاعت غايتها فليس العبادات رياضات وأساليب سلوكية تقوم بها الجماعات مصحوبة بهتافات جسمية منظمة للمواكبة بين إنطباعات الإنسان النفسية والفكرية وبين طاقاته الجسمية اعترافا من هؤلاء الذين يريدون لأى نظام فكرى البقاء بأن الكائن البشرى وحدة لا تتجزأ بجسمه وعقله وروحه.

والحقيقة أن هذه الرياضات عبث ليس بينها وبين الفكر السليم والمنطق أى ربط حقيقى .

ولكن الإسلام تظهر لنا فيه هذه العبارات أعمالا تعبدية ورياضات روحية عميقة الجذور. لأن العبادة فى الإسلام هى الناحية العملية من العقيدة فإذا كانت العقيدة قوية راسخة كانت العبادة صادرة عن قلب مخلص وعقل واع وايمان عميق.

وفى هذه الحالة تكون العبادة قد زكت النفوس وسمت بها واقتربت بها من الفضيلة فيفيض الخير ويعم على الناس جميعا .

لأن كل عبادة شرعها الله إن لم تؤد إلى نتائج وثمرات إجتماعية واهتمام بخدمة الأمة التى يعيش الفرد فى وسطها فهى عبادة نبؤاء لم تفهم على وجهها الصحيح. وبجانب ذلك فالغرض الأساسى من العبادة هو تنبيه ضمير الإنسان إلى أن وجوده زائل ولا مناص من تذكر الفرد لهذا الوجود الخالد الباقى فيعمل من أجله كما أن العبادة تنبه الفرد إلى وجوده الروحى الذى ينبغى أن يشغله على الدوام بمطالب غير مطالبه الجسدية وغير شهواته الحيوانية.

ففى الصلاة يستقبل النهار ويتوسطه مرتين ثم يختمه ويستقبل الليل بالوقوف بين يدى الله كأنه يستهديه فى عمله ويؤدى اليه الحساب عن هذا العمل من ساعة اليقظة إلى الساعة التى يستسلم فيها للرقاد.

وعندما أمر الله بالصلاة ابان الحكمة من اقامتها وهو البعد عن الرذائل والتطهير من سوء القول وسوء العمل "اتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون" (النعكبوت- آية ٤٥).

وقد جاء فى حديث للرسول صلى الله عليه وسلم "انما تقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ولم يستطل على خلقى ولم يبت مصيرا على معصيتى وقطع النهار فى ذكرى ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب"

والصوم ليس حرمانا من الطعام والشراب بل هو خطوة إلى حرمان النفس دائما من الشهوات. ويذكر انه ذو ارادة تأخذ بيدها زمام جسدها ولا تترك لهذا الجسد أن يأخذ بزمامها ويتصرف بها على هواه.

فالصوم والزكاة والصوم والجج عبادات متباينة فى جوهرها ولكن تلتقى عند الغاية التى رسمها أشرف الخلق محمد صلى الله عليه وسلم "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

وهذه العبادات فى الإسلام قوية وسر قوتها إنها ترتبط بمعنى واحد إن العبودية لله وحده .

"قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين" (الأنعام- آية ١٦٢).

فالعبادات فى الإسلام تعلمنا الوعى الفكرى الدائم وتربى عند المسلم الفضائل الثابتة المطلقة التى لا تقف عند حدود الأرض أو القوم أو المصلحة.

والعبادة تزود المسلم بقوة مستمدة من قوة الله وثقة بالنفس والأمل فى المستقبل المستمد من الأمل بنصر الله مما يدفع على الدأب والجهد والعمل فالعمل عبادة مادام القلب يتجه منه إلى الله

د – الأسس التشريعية

الشرع فى القرآن الكريم بيان للعقيدة والعبادة وتنظيم للحياة والعلاقات الإنسانية وتبسيط للقوانين التى ينبغى اتباعها وتطبيقها فى الحياة.

والشريعة تستخدم ثلاث طرق فى تربية المسلم:

١- أسلوب تربوى نفسى يتبع من داخل النفس طابعه الخوف من الله ومحبته .
٢- التناصح والتواصى بالحق والتواصى بالصبر.
٣- وازع السلطة التنفيذية التى تنفذ أحكام الشريعة فيستتب الأمن ويسود الشرع.

وهذه الأساليب الثلاثة تتعاون على تحقيق المعانى الإسلامية وتطبيقها فى حياة الفرد والجماعة فتصبح هذه الحياة أقرب ما تكون إلى السعادة.

والشريعة الإسلامية تدور أحكامها حول حفظ الدين وحفظ النفس وحفظ المال والمحافظة على العقل وحفظ العرض.

"وإن نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون" (التوبة- آية ١٢).

" ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنة وأعد له عذاباً عظيماً" (النساء- آية ٩٣).

" ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا" (النساء- آية ٥).

" إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون". (الأنفال- آية ٢٢).

"ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء إلا ماقد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا" (النساء - آية ٢٢).

وللشريعة الإسلامية جانب عملى يتجلى فى الأمر والنهى والتحريم والتحليل والاباحة والحظر والحدود والعقوبات والقصاص وبكثرة تداول أحكام الشريعة تصبح هذه الأحكام اعرافا ومصطلحات اجتماعية ويصبح سلوكا تسلكه الدولة مع جميع رعاياها.

ثانيا: السنة المطهرة

السنة هى الأصل الثانى من أصول التربية الإسلامية فلقد قدم لنا الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال حياته العملية ومن خلال أحاديثه العديدة الكثير من اللمحات والنظرات والمواقف ما يشكل فى جملته معينا رائعا يستطيع أن يغترف منه المعنيين بالتربية الإسلامية. وهذا هو بيان جوانبها التربوية.

١- الدعوة إلى طلب العلم

يجعل الرسول صلى الله عليه وسلم الطريق إلى العلم طريقا فى نفس الوقت إلى الجنة "من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة".

وحض الرسول صلى الله عليه وسلم على طلب العلم فقال" من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين".

ورفع الرسول الكريم العلماء درجة عالية فاسبغ عليهم الكثير من آيات الإهتمام والتعظيم مما يغرس فى نفوسهم الثقة بالنفس والحماس للعمل فقد جاء فى الحديث الشريف.

"للأنبياء على العلماء درجة".

" ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب ولمداد ماجرت به أقلام العلماء خير من دماء الشهداء فى سبيل الله".

ولاشك أن هذه الأحاديث تدل دلالة واضحة على أهمية العلم فـى الحيـاة مما يدفع الناس الواعين بهذه الأهمية إلى طلبه والعمل به.

والذى يتابع الطريقة التى اتبعها الرسول الكريم فـى دعوتـه للنـاس يجـد كثيرا من الشبه بينها وبين الطريقة العلمية للبحث التى تقتضى منا أن نبتـع مـا يلى:

١- محو كل رأى أو عقيدة فى أنفسنا سابقة لهذا البحث.
٢- نبدأ بالملاحظة والتجربة.
٣- الموازنة والترتيب.
٤- الاستنباط القائم على هذه المقدمات.

فإذا وصلنا إلى نتيجة علمية من ذلك كانت هذه النتيجـة خاضعـة للبحـث والتمحيص وتظل علمية مالم يثبت بالبحث العلمى تسرب الخطأ الى ناحية مـن نواحيها لقد كانت هذه الطريقة هى طريقة سيد الخلق وأساس دعوته:

١- لقد طالب من دعاهم الى الإسلام أن ينزعوا من أنفسـهم كـل عقيـدة سابقة.

٢- أن يفكروا فيما أمامهم فكل قبيلة لها صنـم تعبده -وهنـاك صائبـة- ومجوس... الخ فأى هؤلاء على الحق وأيهم علـى البـاطل. فيتركوا كـل ذلـك جانبا ويمحوا أثره من نفوسهم ولينظروا ويلاحظوا وهذا هو النسيان.

فلاحظوا أن الإنسان متصل بالحيوان والجماد والأرض تتصل بالشمس والقمر. كله متصل فى سنن مطردة لاتحويل لها ولا تبديل ولو تحولت لتبدل مافى الكون. ومادام ذلك لم يحدث فلابد لهذا الكل من روح تمسكه منه نشأ وعنه تطور وهذا الروح وحده هو الذى يجب أن يخضع له الإنسان إذن فلتكن العبادة لهذا الروح وحده.

ان الرسول صلى الله عليه وسلم بطريقته فى اقناع الناس وتعليمهم مبادئ الإسلام إنما يقدم لنا الطريقة الصحيحة للتربية والتعليم ففى هذه الطريقة الاسلامية العلمية سمو بالعقل الإنسانى وتحطيم لقيوده.(١)

٢- أهمية القدوة فى التربية

أى نظرية مهما صحت ووصلت من دقة الفكر وأى هداية مهما تجمع من صنوف الخير لا يكتب لها البقاء الا إذا كان الداعية لها قدوة للناس يقتدون به ويتمثلون بفضائله.

فالمجتمع الإنسانى يحتاج أشد الحاجة فى بلوغه الكمال وسلوكه سبيل الرشاد إلى هداة ودعاة ومربين طهرت حياتهم وزكت نفوسهم وصفت قلوبهم من وصمات الذنوب وشبهات الآثام وتكون سيرهم كاملة فى كل ناحية من نواحى الإنسانية ولم يجتمع كل ذلك إلا للأنبياء وعلى رأسهم محمد صلى الله عليه وسلم ولقد أثبت الرسول صلى الله عليه وسلم بالبراهين العملية والتجارب العظيمة أن ما يدعو إليه ممكن التنفيذ.

---

(١) محمد حسين هيكل- حياة محمد ص ١٥٠- ١٥١.

وآية ذلك أنه مشخص فى سلوكه ومن هنا كان القول " لاتنه عن خلق وتأتى مثله".

والرسول يبين لنا منهجا تربويا أساسيا وهو أن يتمثل المعلم دائما ما يقول ويعلم وإلا فلا أثر لذلك وربما كان أقوى عامل فى سمو مثالية أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم تأثر قلوبهم ونفوسهم وعقولهم بمثالية الرسول.

ولذلك أوصى فلاسفة الإسلام مؤدب الأطفال أن يكون متحليا بالفضيلة معروفاً بالأخلاق النبيلة متجنبا للرذيلة وفى هذا المعنى قال عتبة بن أبى سفيان يوصى مؤدب ولده "(١) ليكن اصلاحك ابنى اصلاحك لنفسك فإن عيونهم معقودة بعينك فالحُسن عندهم ما استحسنت والقبيح ما استقبحت..." وبالمثل أوصى الفيلسوف ابن سينا"(١) أن يكون مع الصبى فى مكتبه صبية حسنة أدابهم. مرضية عاداتهم لأن الصبى عن الصبى القن وهو عنه آخذ وبه آنس" فالتلميذ يحاكى أستاذه وزملاءه قصدا أو من غير قصد فيما يقولون أو يفعلون.

فابن سينا يوصى بأن يكون المقّلد قدوة حسنة ونموذجاً طيباً حتى لايترك أثراً سيئاً فى نفس الطفل المقلد فالتقليد له أثر كبير فى التعليم وتكوين العادة وفى التربية الخلقية والعقلية.

---

(١) محمد عطية الابراشى، التربية الاسلامية ص ١١٣.

(١) المرجع السابق ص ١١٤.

ولقد نبه القرآن الكريم الآباء أن يكونوا قدوة صالحة للأبناء " والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما"

ولقد جعل الإسلام القدوة الدائمة لجميع المربين شخصية الرسول قدوة متجددة على الأجيال ولقد تعلم الصحابة كثيراً من أمور دينهم بطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقتدوا به فكان يقول لهم "صلوا كما رأيتمونى أصلى"

وهكذا نجد أن فلسفة التربية الإسلامية فى القرآن والسنة تشكلت بفعل عوامل أربعة: الأول عامل عقدى وهو تحديد الصلة بين الخالق والمخلوق وعامل إجتماعى وهو بلورة العلاقات وأنماط السلوك فى الدائرة البشرية التى ينتهى إليها المتعلم.

والعامل الثالث هو أسلوب العيش على الرقعة المكانية التى استخلف الله المتعلم فيها والعامل الأخير هو مراعاة البعد الزمانى لعمر المتعلم وهو يبدأ فى الدنيا ويمتد إلى الأخرة عبر مستقبل لا يتناهى.

ومن هنا جاء قوله تعالى " إقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم"

جاءت هذه الآية لتوضح الفرق بين فلسفة التربية الإسلامية وغيرها من الفلسفات التربوية الأخرى فالمخطط لهذه التربية هو الله وهو واضع أهدافها وأساليبها وهو خالق الإنسان ورعى نشأته وتكوينه منذ كان علقة حتى أصبح

يخزن المعارف والأسرار والمعلومات والسمة الثانية من فلسفة التربية الإسلامية أنها جاءت لاسعاد البشر وإشاعة المحبة والسلام والخير. ومخطط هذه التربية هو اكرم المخططين.

لاينتظر مردودا اقتصاديا أو عسكريا أو اجتماعيا ذلك الذى ينتظره المربين من البشر.

[الفصل الثالث]

أساليب التربية الإسلامية فى القرآن الكريم والسنة النبوية

لقد أشار القرآن الكريم إلى أنواع عديدة من أساليب التربية بعضها نظرى وبعضها عملى منها الحوار وأسلوب القفه وضرب الأمثال والترغيب والترهيب.

كذلك دعا إلى اعتماد أسلوب الرحلات فى أقطار الأرض والنظر فى آثارها. ودعا إلى إستعمال أساليب الملاحظة والتجربة مما جعل المسلمين يتوصلون إلى المنهج العلمى فى البحث.

ومن أهم الأساليب المؤثرة فى تربية النفوس فى القرآن والسنة المطهرة:

١- الحوار فى القرآن الكريم

لقد جاء الحوار فى القرآن الكريم على عدة أشكال منها التخاطبى والوصفى والجدلى.

والحوار هو عرض الموضوع عرضاً حيوياً يتناوب فيه الخصمان بالأخذ والرد مما لايدع مجالاً للملل ويغرى السامع بالمتابعة لمعرفة النتيجة. وهذا يساعد على ايقاظ العواطف والإنفعالات مما يساعد على تربيتها وتوجيهها نحو المثل العليا.

أ- الحوار الخطابى فى القرآن الكريم:

تعددت أشكال الحوار الخطابى فى القرآن الكريم فمنها ماهو موجه للمؤمنين ليشعروا بمسئولية التكليف الإلهى المبنى على الإيمان وهو يجئ على شكل بيان حكم الله للعمل به أو نهى عن أمور حرمها الشرع أو حضهم على أمور عظيمة.

" وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو ابائهن أو آباء بعولتهن أو ابنائهن أو ابناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى اخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أية المؤمنون لعلكم تفلحون". (النور- آية ٣١).

وهناك الحوار الخطابى التذكيرى " يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين". (البقرة- آية ١٢٢).

وهناك الحوار الخطابى العاطفى "الذى خلق سبع سموات طباقا ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور". (الملك- آية٣).

ومن الآثار التربوية للحوار الخطابى تربية النفوس على التفكير مع أسئلة القرآن والتفكير فى معناها وتوجيه الخلق والسلوك بمقتضى ماجاء فى القرآن الكريم.

ب- الحوار الوصفى فى القرآن الكريم:

هذا الحوار ينمى العواطف والسلوك للإنسان لأنه فى ذلك الحوار يصرح بذكر المتحاورين واثبات وصفى حى لحالة المتحاورين النفسية والقصد من ذلك هو الإقتداء بصالحهم والابتعاد عن أشرارهم.

قال تعالى "وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين. هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون. احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وماكانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم". (الصافات- آيات ٢٠: ٢٣).

جـ الحوار الجدلى فى القرآن الكريم

وهو حوار يجرى فيه نقاش غايته إثبات الحجة على المشركين للإعتراف بضرورة الإيمان بالله وتوحيده والاعتراف باليوم الأخر ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم ونجد ذلك واضحاً فى سورة النجم.

وهذا الحوار يربى الحماسة للحق وكراهية الباطل ويربى العقل على التفكير السليم للوصول إلى الخالق وهو القياس.

مثل قوله تعالى " وقالوا أءذا كنا عظاما ورفاتا أءنا لمبعوثون خلقاً جديداً. قل كونوا حجارة أو حديدا. أو خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون

من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة فسينغضون اليك رءوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا." (الإسراء- آية ٤٩: ٥١) وهذا الحوار يعلم الإنسان ما يسمى بالثالث المرفوع أو الحصر فلو كان لدينا قضية لها ثلاث حلول واسقطنا حلين تبين لنا أن الثالث صواب كما جاء فى قوله تعالى" أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون. أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون" (الطور - آية ٣٦- ٣٧).

ففى هذه الآيات يخاطب الله الكفار بأسلوب حوار جدلى هل أنتم خلقتم السموات والأرض. هل عندكم خزائن رزقه ورحمته حتى ترزقوا من تشاءون فلماذا! إذن تنكرون رسالة محمد صلى الله عليه وسلم التى جاء بها من عند ربه الذى خلقه .

الحوار فى السنة النبوية

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على تعليم الصحابة بطريقة الحوار وكانت رغبته أشد فى أن يكون الصحابة هم البادئون بالسؤال.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى عليه وسلم اسألونى فهابوه أن يسألوه فجاء رجل فجلس عند ركبته فقال يارسول الله ما الإسلام؟ قال: لا تشرك بالله شيئا وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان قال صدقت ثم سأله عن الإيمان والإحسان وموعد قيام الساعة قال أبو هريرة ثم قام الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوه على فالتمس فلم يجدوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم" فهذا حوار امام المتعلمين ليتابعوا الحوار وليتعلموا منه أمر دينهم .

وهذا مثل نبوى آخر يقدم لنا أهمية السـؤال لمـن جهـل شيئا ليعـود إلـى أهل المعرفة جاء صيادون من الصحابة إلى الرسـول صلـى اللـه عليـه وسـلم فقالوا يارسول الله إنا أهل ارماث (نوع من القوارب) وإنـا نـثرود مـاءاً يسـيرا إن شربنا منه لم يكن فيه ما نتوضـأ منـه وإن توضأنـا لـم يكـن فيـه مانشـرب أفنتوضأ من ماء البحر؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم فهو الطهور ماؤه والحل ميتته" .

فالسؤال احدى وسائل التربية ويستمر هذا الميـل للسـؤال مـادام الإنسـان حياً يسعى إلى تنمية مداركه.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يستعمل أسـلوب الحـوار الإقنـاعى الذى يقوم على سؤال المتعلم عما يعرفـه بـالحس أو بالبداهـة ثـم يبنـى السـائل على الجواب ما يريد بناءه من استجواب آخر حتى يصل إلى اقناع المتعلم بكل ما يريد تعليمه إياه.

قال الإمام الرازى(١) : نقل أن عدى بن حاتم كان نصرانيا فـانتهى إلـى الرسول صلى اللـه عليـه وسـلم وهـو يقـرأ سـورة بـراءة فوصـل إلـى "اتخـذوا أحبارهم ورهبانهم أربابـا مـن دون اللـه والمسـيح بـن مريـم" قـال فقلـت لسـت تعبدهم فقال: أليـس يحرمـون مـا أحـل اللـه فتحرمونـه ويحلـون مـا حـرم اللـه فتستحلونه قلت بلى. قال فتلك عبادتهم .

وثبت من كل ما تقدم أن أسلوب الحوار من اساليب التربية.

---

(١) تفسير المنار ج.١ ص ٣٦٦.

٢- الأسلوب القصصى فى القرآن الكريم

الحوار القصصى هو الذى يأتى فى طيات قصة واضحة فى شكلها وتسلسلها وهى ليست عملا فنيا مطلقا مجردا من الأغراض التوجيهية بل هو ذو أثر فكرى رائع بالاضافة إلى أثره فى الوجدان فهو يربى العواطف الربانية والنفسية كالحب فى الله والحماسة للأنبياء.

فهو يجعل الجمال الفنى أداة مقصودة للتأثير على الوجدان واثارة الانفعالات.

والحوار القصصى يعرض حجج الأنبياء عرضاً فكرياً ربانيا ويذكر نتيجة القصة ومصير كل من الظالمين والمؤمنين فهو بذلك يربى الفكر والتصور الربانى لأمور الديانة وبذلك يصبح الحوار القصصى وسيلة لإبلاغ الدعوة الإسلامية وتثبيتها.

بعض أغراض القصة القرآنية

القصة القرآنية ليست غريبة عن الطبيعة البشرية لأنها جاءت علاجا لواقع البشر فهى تذكر جانب الضعف والخطأ فى طبيعة البشر ثم توصف الجانب المتسامى الذى يحتله الرسل والمؤمنون والذى ينتهى عنده المطاف لعلاج ذلك الضعف والنقص وتنتهى القصة بإنتصار الحق والنهاية الخاسرة للباطل.

ففى قصة يوسف عليه السلام نرى هذه النقائص البشرية إلى جانب العناصر السامية فاخوة يوسف تدفعهم هواتف الغيرة والحسد إلى محاولة قتله ويعقوب عليه السلام الوالد المحب الملهوف, ونرى صورة المرأة المترفة تعرض حبائل الهوى على يوسف والى سجنه مع أنه برئ وصبره وتحمله ولا ذنب له إلا أنه انسان ترفع عن الدنايا ومن ذلك يتضح أن أحد أهداف القصة القرآنية التربية الخلقية ومن بعض أهداف القصة القرآنية اثبات الوحى والرسالة واقناع القوم بأن محمد صلى الله عليه وسلم وهو أمى يتلو عليهم هذه القصص من كلام ربه "تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ماكنت تعلمها ولاقومك قبل هذا".

والقصة فى القرآن الكريم تنقسم إلى ثلاثة أنواع : قصة واقعية تاريخية حدثت فعلا وهى ذات عبرة وعظة لنا. وقصة واقعية حقا غير أنها إلى جانب ذلك تعرض نموذجا لحالة إنسانية من خلق أو انفعال والمراد منها العبرة واليقظة. والنوع الثالث القصة التمثيلية وهى تقدم حادثة وقعت فيما مضى ويمكن أن تقع فى أى زمان ومكان. فمن النوع الأول ماجاء فى سورة القصص. قال تعالى "ولما ورد مآء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تزودان قال ماخطبكما قالتا لاتسقى حتى يصدر الرعاة وأبونا شيخ كبير. فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إنى لما أنزلت الى من خير فقير. فجاءته أحداهما تمشى على استحياء قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا فلما جآءه وقص عليه القصص قال لاتخف نجوت من القوم الظالمين. قالت إحداهما يا ابت إستأجره إن خير من إستأجرت القوى الأمين". (القصص- آيات ٢٣: ٢٦).

ومن النوع الثانى ماجاء فى سورة المائدة. قال تعالى" واتل عليهم نبأ النبى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين".. (المائدة - آية ٢٧: ٣١).

ومن النوع الثالث قوله تعالى فى سورة الكهف - آية ٧ واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا. كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهراً. وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً. ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا. وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا. قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا. لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحداً" (الكهف -آيات ٣٢: ٣٨).

الأسلوب القصصى النبوى

لايختلف القصص النبوى عن القصص القرآنى من حيث أهميته فمن أهدافه مثلا الحث على العمل الصالح والتوسل إلى الله لتفريج الأزمات. فمن ذلك قصة الذين انحدرت عليهم صخرة فسدت عليهم الغار الذى أواهم فلم ينجيهم إلا أن دعوا الله بصالح أعمالهم.

قال الرسول صلى الله عليه وسلم "قال رجل منهم اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولامالا فنأى بى طلب شجر يوما فلم ارح عليهما حتى ناما فحلبت لهما. غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن

أغبق قبلهما أهلا أو مـالا فلبثت والقدح علـى يـدى أنتظـر استيقاظـهما فشـربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك إبتغاء وجهك ففرج عنا مانحن فيـه مـن هـذه الصخرة فانفرجت الصخرة شيئا. لايستطيعون الخروج. قال النبـى صلـى اللـه عليه وسلم قال الآخر اللهم كانت لى ابنة عم كانت أحب الناس الـى فراودتهـا عن نفسها فامتنعت منى حتى المت بهـا سنة مـن السـنين فجـاءتنى فأعطيتهـا عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينـى وبيـن نفسـها ففعلت حتـى إذا قـدرت عليها قالت: لا أحل لك أن تفضى الخاتم إلا بحقه فتحرجت من الوقـوع عليهـا فانصرفت منها وهى أحب الناس إلى وتركت الذهب الـذى أعطيتهـا. اللهـم إن كنت فعلت ذلك إبتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيـه فـانفرجت الصخـرة غيـر أنهم لا يستطيعون الخروج منها. قال النبى صلى الله عليه وسلم "وقال الثـالث اللهم استأجرت اجراء وأعطيتهم غير رجل واحد ترك الذى له وذهب فثمـرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءنى بعد حين فقـال لـى يـاعبد اللـه ادى الـى أجرى فقلت كل ماترى من أجرك من الإبل والغنـم والبقـر فقـال يـاعبد اللـه لا تستهزئ بى فقلت إنى لا استهزئ بك فأخذه كله فاستاقه فلم يـترك منـه شـيئا. اللهـم إن كنـت فعلـت ذلـك إبتغـاء وجهك فـافرج عنـا مـا نحـن فيـه فـانفرجت الصخرة وخرجوا يمشون.

ومن القصص النبوى مايحث على الصدقـة والدعوة إلى شـكر النعمـة. مثل قصة الأقرع والأبرص والأعمى وقد أرسل الله ملكاً إلى كل منهم فاعطاه مالا وشفاه مما هو فيه بإذن الله ثم أرسل الله ذات الملك يطلب من كل صدقـة فرفض الأقرع والأبرص إلا الأعمى الذى اعترف بنعمة الله فقال للملك اسـأل ماشئت وخذ ماشـئت فـأبقى اللـه عليـه النعمـة وأزالهـا مـن الأبـرص والأقـرع فرجعا فقراء والأول أبرص والثانى أقرع . كما كانا.

مصادر تأثير القصة

للقصة ثلاث مصادر تأثيرية الأول هو المصدر النفسى فالقصة تمثيل يساعد على تنفيس سليم لطاقات نفسية مخزونة أو إسقاط لآمال شخصية وفنية تريد أن تتحقق شعورياً فى الحياة العملية للإنسان. أما المصدر الآخر فهو الخيال الواقعى حيث يعيش السامع أو القارئ مع القصص القرآنى أو النبوى مجالس النبوة واحداثها فيشعر بالراحة النفسية الى جانب مافيه من تعليم وتربية.

أما المصدر الثالث فهو المصدر العقلى الإدراكى فالقصة عامل عقلى تربوى فى تقديم العقيدة الإسلامية والخلق السليم بأسلوب قصصى متدرج ونام ولذلك كان من أهم المراجع لاختيار القصص للتربية هو القرآن الكريم والسيرة النبوية وتاريخ اعلام الصحابة والتابعين والمجددين ورجال العلم والفكر فى حياة الأمة الإسلامية.

٣- التربية بضرب الأمثال فى القرآن والسنة

وهو تقديم الأفكار والمعانى بصورة مثل ما يضرب لتجسيد تلك الأفكار فهو وسيلة لايضاح الغامض وتقريب البعيد والقرآن الكريم والسنة النبوية قدمت نماذج رائعة لتلك الأمثال فمن ذلك:

الأمثال التى وردت فى القرآن الكريم التى لعبت ذروة الإعجاز والبلاغة من حيث الوضوح وأداء المعنى فمن هذه الأمثال ما يدعو إلى تربية العقل

على التفكير والمقياس المنطقى السليم فمن ذلك إستحالة التماثل بين الهة المشركين والخالق العظيم.

" يأيها الناس ضرب مثل فاستعموا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له. وإن يسلبهم الذباب شيئا لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب". (الحج– آية ٧٣).

" ألم تركيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون". (ابراهيم – آية ٢٤– ٢٥).

وإنطلاقا من ذلك نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يقدم لنا أمثالا صادقة للتمثيل الإيضاحى لعدد من الأفكار والمعانى منها "انما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإمّا أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبا. ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا منتنة"

وقال صلى الله عليه وسلم "مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذى لايقرأ القرآن كمثل التمرة لاريح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر. ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظل ليس لها ريح وطعمها مر".

٤- التربية بالترغيب والترهيب

لقد دعى القرآن الكريم الى الأخلاق الفاضلة التى شرحناها سابقا فإذا أصر المخالفون على إتباع غير طريق المؤمنين الصالحين واستمروا فى عنادهم وآثروا الإستماع إلى هوى نفوسهم فلابد من محاسبة هؤلاء أشد الحساب وأنزال العقاب بهم حتى يثوبوا إلى رشدهم .

قال تعالى" ولكم فى القصاص حياة" فالاسلام يشرع مبدأ العقاب ويبسط الوان العقوبات باختلاف الجرائم والعدالة فى الإسلام تقتضى رد الأذى وعقاب المجرم والعفو عنها إنما هو قدر زائد على العدالة. ثم ينصح الله عباده بالمغفرة والصفح لعله سامية وهى إجتذاب القلوب وولاء النفوس والألفة بين الناس.

لقد أوذى الرسول صلى الله عليه وسلم فى دعوته وهو إعتداء يقتضى الحزم فى رده ولكن الله أمر نبيه بالرحمة والصبر فالعفو أسبق من العقاب والصبر مقدمة الحساب ومبدأ العقاب كما يقرره الإسلام ينطبق على جميع الأفراد والصبيان يدخلون تحت راية هذا المبدأ فتشملهم العقوبة كما تشمل غيرهم من الناس فالعقوبة فى التربية الإسلامية الغرض منها الإرشاد والإصلاح لا الزجر والإنتقام ولهذا حرص المربون من المسلمين على معرفة طبيعة الطفل ومزاجه قبل الإقدام على معاقبته وشجعوه على أن يشترك بنفسه فى أن يصلح الخطأ الذى أخطأه وروح الرفق والعطف والشفقة تظهر بوضوح فى التربية الاسلامية

ولقد عنى فلاسفة التربيــة الإسـلامية بموضـوع العقوبـة معنويـة وماديـة ولهذا نادوا بإتخاذ كـل وسـيلة لتـأديب الأطفـال وتهذيبهـم حتـى يعتـادوا أحسـن العادات فى الكبر.

فابن سينا يرى(١) البدء بتربية الطفل وتعويده الخصـال الحميـدة قبـل أن ترسـخ فيـه العـادات القبيحـة لأنـه مـن الصعب أن يتخلـص منهـا إذا إعتادهـا وتمكنت من نفسه. وإذا إضطر المربى إلى الإلتجاء إلى العقوبة وجب عليه أن يحتاط كل الحيطة ويتخذ الحكمة فى تحديدها ونصح ألا يعاقب المعاقب بالعنف والشدة فى البدء بل باللطف واللين ثم الترغيب تـارة والتخويـف تـارة أخـرى ومعنى ذلك أن يعامل كل طفل بما يناسب حالته.

ولقد لخص ابن خلـدون(٢) آراء فلاسـفة التربيـة الإسـلامية فـى العقوبـة حينما اقتبس نصيحة هارون الرشيد لمؤدب ولده الأمين فذكر أن الرشيد. طلب إلى الأحمر مؤدب ولده ألا يدع ساعة تمر دون أن يغتنم فائدة تفيده مـن غـير أن تحزنه فتميت ذهنه والا يمعن فى مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه. ويقومـه ما إستطاع بالضرب والملاينة فإن أباهما فعليه بالشدة والغلظة".

وينصح الغزالى باستعمال اللوم والتوبيخ بحكمة .

---

(١) محمد عطية الأبراشى: التربية الإسلامية ص ١٥١.
(٢) المقدمة ص ٤٩٤- ٤٩٥.

فيقول فى الاحياء(١) " ولا تكثر القول عليه بالعتاب فى كل حين فإنه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الأب حافظا هيبة الكلام معه فلا يوبخه إلا أحيانا والأم تخوفه بالأب وتزجره عن القبائح".

لقد كانت الرحمة والرفق بالمتعلمين هى الطريقة التى سلكها الرسول صلى الله عليه وسلم فى معاملة من يدعوهم الى الإسلام وفى التعامل مع المسلمين أثناء تعليمهم مبادئ الإسلام وقواعده لقد كان لين الجانب معهم رفيقا بهم ولقد كانت هذه الوسيلة ناجحة تحمل ما نقل إلى العقول والقلوب دون أن تسبقها علامات الغضب والانفعال فتزعزع أركان التعليم وتهز أسس التربية وفى قوله تعالى "بالمؤمنين رؤف رحيم" إشارة إلى أن رحمته عليه السلام دائمة لا تنقطع عن مؤمنى أمته.

فعن عائشة رضى الله عنها قالت " ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من ظلامة ظلمها قط إلا أن ينتهك من محارم الله شئ وإذا انتهك من محارم الله عز وجل شئ كان اشدهم فى ذلك .

---

(١) الاحياء جـ٣ ص ٦٣.

[الفصل الرابع]

الفكر التربوى الإسلامى وخصائصه

ليس ممكنا أن تكون هناك تربية إسلامية ونظام تعليمى إسلامى له ملامحه وأهدافه يعكس أيديولوجية الحياة فى المجتمع الإسلامى دون أن تكون هناك نظرية تربوية إسلامية أو فكر تربوى إسلامى والجهل بالتربية الإسلامية والفكر التربوى الإسلامى وفلاسفة التربية المسلمين أمر لا يقلل من شأن التربية الإسلامية وإنما يقلل من شأن من يجهلون ذلك كله .

لقد مرت التربية الإسلامية فى تطورها بظروف عديدة تعرضت فيها مقومات الثقافة السائدة فى البلاد لتغيرات كثيرة إستجابة لحاجات عديدة فرضت نفسها على حياة المسلمين. وكان الفكر الفلسفى التربوى الإسلامى سريع الإستجابة لتلك المتغيرات. ولكن ذلك الفكر كان دائما وليد أمرين الأيديولوجيا الاسلامية كما يصورها الكتاب والسنة والظروف الجديدة الطارئة التى كانت تجد لهما فى ظل الإسلام معناً جديداً لتتحول به وتصبح عناصرها الثقافية إسلامية وسوف نرى ذلك خلال تتبعنا للفكر التربوى الإسلامى على مر العصور.

١- الفكر التربوى الإسلامى فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم

كان الفكر التربوى فى هذا العصر موجود فى آيات القرآن الكريم وفى أحاديث الرسول الكريم وهو يتحدث إلى أصحابه وهذا الفكر التربوى لم يكن فكراً تربوياً مبتوراً منقطع الصلة بالمجتمع كما يصوره أعداء الإسلام وإنما هو فكر حى نابض يأتى ضمن تصور عام للمجتمع كما يريده الإسلام ومن هنا يستمد هذا الفكر التربوى الذى نراه فى الكتاب والسنة قيمته العملية.

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم صورة حية لهذا الفكر الإسلامى فى كل كلمة يقولها أو تصرف بتصرفه لقد كان خلقه القرآن وكان المعلم الأعظم فى هذه المدرسة الإسلامية وهو نفسه خريج المدرسة الإلهية الكبرى التى وضعت هذا الفكر التربوى فى القرآن الكريم .

٢- الفكر التربوى فى عصر الخلفاء الراشدين والعصر الأموى

كان الجديد الذى طرأ على المجتمع الإسلامى فى هذا العصر عصر الخلفاء الراشدين هو غياب الرسول عليه الصلاة والسلام والمحن التى تعرض لها هذا المجتمع من الداخل والخارج. ولكن استطاع أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجتازوا هذا الاختيار بنجاح بفضل تمسكهم بتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية وكانت سنوات حكم الخلفاء الراشدين جهادا مستمرا بين الحق والباطل ولم يأت فكر جديد فى عهد الخلفاء الراشدين. فلما جاء العصر الأموى وبدأ الاستقرار السياسى بدأ المسلمون يتجهون إلى الثقافات والعلوم والحضارات التى احتكوا بها فى البلاد المفتوحة وبدأوا فى الوقت نفسه يتجهون إلى علوم اللغة والأدب والدين ومن ثم كان العصر الأموى من حيث الفكر التربوى امتداداً للفكر التربوى فى عصر الرسول وعصر الخلفاء الراشدين وكان تأثرهم بالفكر الدخيل محدود. وقد ظل القرآن الكريم والحديث فى هذا العصر هما الإطار الأيديولوجى الذى ينظم ذلك الفكر التربوى المتناثر فى وصايا الخلفاء لمؤدبى أبنائهم وفى كتابات الكتاب دون أن يزاحمها فكر أجنبى رغم وجود محاولات لترجمة هذا الفكر.

ومن العوامل التى أثرت فى تطور المفهوم التربوى فى عصر الخلفاء والعصر الأموى اجتهاد الخلفاء لتأمين أجواء التعليم فى البلاد التى تم فتحها وذلك بإرسال من يعلمهم أمور دينهم فبعث عمر بن الخطاب عشرة أشخاص ليفقهوا أهل البصرة وجمع عثمان القرآن الكريم وارسل نسخ منه إلى الأمصار ومضى الأمويون على نفس السياسة وخاصة فى زمن عمر بن عبد العزيز الذى أجرى العطاء للعلماء وارسلهم الى البادية ليعلموا الناس.

كما أن خروج العلماء لنشر الإسلام فى الأقطار المفتوحة مثل أبا الدرداء الذى ذهب إلى دمشق واتخذ المسجد مكانا يمارس التعليم فيه وغيره من العلماء الذين تحمسوا لنشر العلم وأوجبوه فكان مالك بن انس إذا رحل تلامذته عنه قال لهم " اتقوا الله وانشروا هذا العلم وعلموه ولا تكتموه .

وكان الخلفاء والعلماء فى هذا العصر يركزون على القرآن الكريم فالحكمة هى القرآن الكريم وتعليمه.

وفى عصر معاوية تضمن المنهاج موضوعا آخر هو الإهتمام باللغة خوفاً من امتداد اللحن إلى القرآن الكريم بسبب ظهور اللحن بين الموالى.

وفى عهد عمر بن عبد العزيز تضمن المنهاج موضوع آخر هو الحديث الشريف للحاجة اليه فى التشريع فكتب إلى العلماء يأمرهم بنشر الحديث وتعليمه .

ويلاحظ على مفهوم الفكر التربوى فى تلك الفترة أنـه جاء متطابقا مع الأصول التى وردت فى القرآن والسنة من حيث الأهداف والفلسفة كما أن الأساليب ومراحل التربية تمت بالقدر الذى يستدعيه تطور المجتمع الإسلامى آنذاك ويلبى حاجاته.

فالدولة الاسلامية الأولى كانت دولة عقيدة هدفها الأول استبدال العقائد الفاسدة والأنظمة القديمة بأنظمة جديدة توجهها مبادئ الإسلام وتعاليمه فكان التصور التربوى فى هذه المرحلة تكريس هذا النشاط فى خدمة الدين الجديد حتى إذا أرست أسس العقيدة الجديدة اتجه التصور نحو المناهج والأساليب والتنظيم المدرس وغير ذلك من متطلبات التربية .

٣- الفكر التربوى فى العصر العباسي:

لقد كان العصر العباسي هو عصر الإنفتاح على الثقافات والحضارات الأجنبية مما أدى إلى إنفتاح أوسع على التراث الإسلامى حماية لهذا التراث من أن يتسرب الدخيل إليه ولذلك لم يكن غريبا أن يبدأ هذا العصر بظهور أئمة الإسلام الأربعة فى الفقه أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل وظهر بعدهم أشهر جامعى الأحاديث النبوية الصحيحة الإمام البخارى ثم مفسر القرآن الكريم الطبرى المتوفى (٣١٠هـ).

وإلى جانب مدارس الفقه والحديث ظهرت مدارس لغوية وكان كل هم هؤلاء أن يجمعوا الإسلام من مصادره الصحيحة تخليصا له مما علق أو يمكن أن يعلق به من دس المتآمرين عليه والكائدين له فى جو يزداد فيه هجوم

الدخيل على الفكر وكان من بين ما جمعوه وشرحوه والقوا الضوء عليه فكر تربوى إسلامى خالص فى شموله وتكامله كما رأيناهما فى الكتاب والسنة وكان ظهور المدارس الفقهية ومدارس الحديث واللغة أحد عوامل تطور مفهوم الفكر التربوى الإسلامى. ومنذ بدأ اللقاء بين الفكر الإسلامى العربى الأصيل والفكر اليونانى والفارسى والهندى الدخيل بدأت مدارس فكرية تعكس فى البلاد الإسلامية هذا اللقاء وبدأ ظهور الفرق ولقد خلقت هذه الفرق نوعاً من النشاط الفكرى كان له آثاره فى مفاهيم التربية ومناهجها وأساليبها.

ولقد كان المعتزلة أول هذه المدارس الفكرية ولقد آمن المعتزلة بالعقل وأخذت بالعلم الموسوعى الشامل خدمة للدين وتدعيماً لسلطانه فى النفوس.

وكانت جماعة اخوان الصفا الشيعية السرية والتى ارتمت فى أحضان العلوم الأجنبية والفت ٥٢ رسالة تبحث فى الرياضيات والمنطق وعلم النفس والميتافيزيقا والتصوف والسحر والتنجيم وغيرها أى أنها الفت فى مجموعها دائرة معارف ضخمة تناولت مختلف آفاق المعرفة.

ولقد نظروا إلى التعليم والتربية نظرا عقليا لاعمليا فالمعرفة عندهم مكتسبة وليست فطرية واصل المعرفة الحواس ورغم أن النزعة العقلية فى الفكر عند اخوان الصفا تأثروا فيها باليونانيين فاننا يجب ألا ننسى أن لهذه النزعة جذورها فى الفكر الإسلامى أيضا.

ولقد ظهرت مدرسة المتصوفين التى اتخذت طريقا آخر للوصول إلى الحقيقة غير العقل الذى يعتمد عليه الفلاسفة وغير طريق العقل والنقل وهو

طريق رجال الدين-ألا وهو طريق القلب بعد أن يصفى من شوائبه وكان زعيم هذه المدرسة الإمام الغزالى.

ولقد خلقت هذه الفرق نوعا من النشاط الفكرى كان له آثاره فى مفاهيم التربية ومناهجها وأساليبها ولقد كان لظهور الفلاسفة المسلمون الذين تجردوا للحق والحقيقة متأثرين بالأيدلوجية الاسلامية يبحثون فى الفكر الوارد وفى الفكر الاسلامى على السواء فكانوا هم نبض الأمة الإسلامية فى حياتها المتجددة وكان لهم رأى فى التربية وفى الفكر التربوى يمتاز بشموله وإتساع نظرته فقد نظروا إلى الإنسان موضوع التربية ككيان متكامل له حس وعقل – وروح ولكل منها حاجاتها التى يجب أن تشبع كما يمتاز هذا الفكر بالعمق والأصالة فقد كان يبحث عن الحق والحقيقة ويدافع عن الإسلام حلا لمشكلات أبناء الإسلام.

ومن هؤلاء المفكرين الكندى وهو عربى وابن سينا والغزالى وهما فارسيان والفارابى وابن رشد وابن خلدون هؤلاء هم الذين شادوا صرح الفلسفة الإسلامية والذين نجد الفكر التربوى الإسلامى فى ثنايا ما كتبوه.

وأخيرا ظهر الفكر التربوى الإسلامى مستقلا قائما بذاته منفصلا عن الأدب والمدارس الفلسفية ورغم هذا الانفصال ظل مستظلا بروح القرآن والحديث وكان أول كتاب ظهر من هذا النوع كتاب محمد بن سحنون "آداب المعلمين".

ولقد جاء مفهوم ابن سحنون عن التربية متأثرا بإطار الفقه المالكى.

وبعد قرن من الزمان ألف القابسى (علـى بـن محمـد القابسـى ٣٢٤هـ-٤٠٣هـ) فى القرن الرابع الهجرى كتابه "المفصلـة لأحـوال المتعلمين وأحكـام المعلميـن والمتعلميـن" وكـان متـأثرا بمـا كتبـه ابـن سـحنون وتتلخص فلسـفته التربوية فى وجوب تدرج المتعلم من مقام الإسلام حتى يصل مقام الاحسان.

وبعد القابسـى كتب أحمد بـن مسكويه (ت ٣٢١هـ) "تهذيب الأخـلاق وتطهير الأعراف" وفلسفة التربيـة عنده تقـوم علـى ثـلاث أسـس: علـم نفسـى تربوى قائم على تحليل النفس- وأساس اجتماعى يبلور معنى الخـير والسـعادة ثـم أسـاس فلسـفى يحـدد مـا هـو فـاضل أو رذيـل وظلـت المؤلفـات الإسـلامية الخاصة بالتربية صغيرة الحجم ومحدودة حتى جاء العلامـة عبـد الرحمـن بـن خلدون فى القـرن الثـامن الهجـرى فـألف مقدمتـه المشـهورة التـى وضـع فيهـا التربيـة حيـث يجـب أن توضـع مسـتهدفا بهـا عـرض دينـى وعـرض دنيـوى فالغرض الدينى يقصد به العمل للآخرة حتى يلقى العبد ربـه وقد أدى ماعليـه من حقوق والغرض الدنيوى هـو غـرض علمـى نفعـى بمعنـى الإعـداد للحيـاة وبذلك كانت التربية الإسلامية فى فكره مبنية على هـذه القـاعدة الحكيمـة التـى رسمها القرآن الكريم فى قوله تعالى (وابتـغ فيمـا آتـاك اللـه الـدار الآخـرة ولا تنسى نصيبك من (الدنيا) وعلى قول الرسول صلى اللـه عليـه وسلم "إعمـل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً". وكـان الغـرض مـن التربية فى فكره هو إعـداد رجـال يخدمـون المجتمـع حتـى يعيـش الجميـع فـى سعادة .

إذا لقد كـان هنـاك تربيـة إسـلامية وكـان هنـاك فكـر تربـوى إسـلامى ومفكرين تربويين إسلاميين فعلى علماء التربية فى عصرنا الحالى البحث فـى

هذا التراث وكيف فكر هؤلاء العلماء المسلمون بدلا من الإنسياق وراء تربية بعيدة كل البعد عن أنفسنا وواقعنا وفكرنا وأرواحنا وقلوبنا. اثبتت الأيام فشلها حين نقلت الينا.

وليعلم كل تربوى معاصر أن كل جديد فى الفكر التربوى المعاصر له أصول فى الفكر التربوى الإسلامى فى تلك العصور الذهبية.

٤- الفكر التربوى فى العالم الإسلامى حاليا

بعد تلك العصور الذهبية للفكر التربوى الإسلامى وللحضارة الإسلامية والتقدم العلمى الإسلامى حدث فى الشرق الإسلامى حوادث أدت إلى ضعف المسلمين وأقفل باب الاجتهاد وانحدر الملسمون فى كل شئون الحياة علميا وثقافيا وعسكريا واقتصادياً ولقد أدى الوضع الثقافى المتخلف إلى تخلف المجال التربوى كنظام وفلسفة "وبالجملة فالعالم الإسلامى يقع اليوم ضحية التخلف وهو تخلف لايعود إلى عوامل وراثية أو بيئية وإنما هو يعود إلى ذلك التحفظ الذى فرض عليها أو لجأت اليه فى خططها وسياساتها بين الشرق والغرب وبين القديم والحديث".(١) وقد انعكس هذا بدوره على أمور الثقافة بل على كل مجال من مجالات الحياة.

لقد حدث للعالم الإسلامى غزو فكرى إما لوقوعه فى أحضان التربية الغربية ومناهجها وفكرها وقيمها وعقائدها ومبادئها أو وقوعه فى أحضان التربية الإشتراكية بمناهجها وفكرها وقيمها وعقائدها ومبادئها. وهذه العقائد

---

(١) د. عبد اللغنى عبود: دراسة مقارنة لتاريخ التربية ص ٤٧.

والمبادئ والقيم والمثل تختلف تماما عما يعيشه المجتمع الإسلامى وأمام هذا الغزو الفكرى إنقسم مفكرو الإسلام إلى فرق ثلاث:

(١) المحافظون وهم الذين رفضوا ثقافة العصر وقنعوا بما ورثوه عن السلف وهم يختلفون فيما بينهم بإختلاف العصور والمفكرين الذين أخذ عنهم أسلافهم فمنهم فريق أخذ إسلامه عن عصور التخلف والجمود وهذا الفريق يشكل مكان الضعف الذى سوغ الطعن فى الثقافة الإسلامية والفريق الثانى أخذ إسلامه عن عصور الإزدهار والقوة والعلم وهذا الفريق لاخلاف على جدواهم فى إتصال حبل الإسلام فى هذا العصر.

(٢) المتحررون وهذا الفريق يضاد الفريق الأول وهم المثقفون الذين تخرجوا من الجامعات ومن فى حكمهم ممن نشأوا فى أحضان التربية الغربية أو الشرقية فأنشأت منهم أجيالا تنكرت لشخصيتها الإسلامية وجهلت أو تجاهلت تقاليدها وهؤلاء قبلوا ثقافة العصر بحذافيرها "فإذا ما تعارضت مع أحوال التراث - رفضوا التراث".(١)

(٣) والفريق الثالث من المفكرين زود نفسه بالثقافة الأصيلة وثقافة الغرب والشرق وأخرج من المجموع مزيجا يمكن أن نطلق عليه "الثقافة العربية الحديثة".

لقد كانت الحروب الصليبية والاستعمار ثم الإستشراق والتبشير وراء هذا الغزو الفكري الذى تأثر به الفكر التربوى فى العالم الإسلامى ولذلك لابد

---

(١) د. زكى نجيب محمود: ثقافتنا فى مواجهة العصر ص٢١.

لنا أن نحلل فلسفة التربية فى العالم الإسلامى ونقارنها بالتربية التى جاءت فى القرآن الكريم والسنة المطهرة حتى نتلائم مع ماجاء فى الكتاب والسنة من فكر فلسفى.

خصائص التربية الإسلامية:

الخصائص هى السمات والصفات التى تتميز بها كل تربية عن غيرها وتستطيع أن نحدد خصائص التربية الإسلامية فيما يلى:

١- تربية إنسانية:

لقد إهتمت التربية الإسلامية بالتربية الأخلاقية إلى أبعد الحدود وكان حصادها أجيالا ذات خلق رفيع فالتربية الإسلامية أخذت بعين الاعتبار أن يكون الإنسان المسلم إنسانا كاملا فعلى المسلم أن يكون وفيا لأسرته وأهله ومجتمعه ووطنه والإنسانية كلها بعيدا عن فوراق اللون دون تمييز أو تفريق إلا بالتقوى "يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير". (الحجرات- آية ١٣).

٢- تربية شاملة ومتوازنة ومتكاملة

التوازن بين مختلف عوامل التربية ذو أهمية قصوى فى سلامة مبادئ التربية سعيا وراء تحقيق الأهداف فالتربية الإسلامية لا تكتفى بالجانب المادى البحت كما فعلت التربية المصرية الفرعونية باعتنائها بالتدريب على المهن والأعمال ولا تكتفى بالجانب العلمى الصرف كما فعلت تربية اليونان ولا تكتفى بالجانب الروحى فقط كما فعلت التربية المسيحية أو تكتفى بالجسد

وقوته كما فعلت التربية الرومانية بل ترعى العقل والجسد والروح فكانت بذلك تربية متكاملة تعطى كل شئ حجمه المناسب فهى توازن بين الروحية والمادية والفردية والجماعية والواقعية والمثالية والثبات والتغير فهى تقف موقف الاعتدال والتوازن.

فهى تجمع بين خصائص وجوانب الإنسان كلها والتوسط فيها كما أنها تتوسط فى تناول الفرد والمجتمع فلا تطغى الفردية ولا يطغى المجتمع.

كما أنها التزمت التوسط فى إعداد الإنسان بين الماضى والحاضر والمستقبل.

فالتربية الإسلامية حين تؤكد أهمية الرعاية لجميع أبعاد الإنسان فى تكوينه وفى متطلبات الجماعات من حوله فإنها تحفظ التوازن النسبى فى هذا النمو التربوى المتناسق. فمجال التربية الإسلامية خصص للعقيدة نصيبها وللحياة الإجتماعية جزء وللعلم والصناعة أجزاء وللعمل أهمية فالعلماء إلى جانب تخصصاتهم العلمية كان فيهم الحداد والنجار والأنبياء كذلك فداود عليه السلام كان يصنع الدروع.

٣- الأصالة والمرونة:

أصالة التربية الإسلامية تعتمد على التصور الإسلامى عقيدة وعبادة وإعتماد اللغة العربية لغة القرآن أساس تخاطب وتعلم وتعليم.

والأصالة ليس معناها الإنغلاق على النفس لأن التربية الإسلامية كانت قادرة على الإنفتاح لاحتضان كل العلوم التى ورثها الإسلام عن الحضارات القديمة وعلمها لأبنائه واحتضان كل قادر على العطاء ووفرت له الفرصة لأن يعطى ماعنده من علم فقد حضنت التربية الإسلامية اليهود والنصارى وكل ما أنتج الاغريق والفراعنة والفرس والهنود ولكن المسلمين عندما انفتحوا على تلك الحضارات لم يكونوا مجرد متعلمين أو سلبيين فى موقفهم منها بل انهم صبغوا تلك العلوم صبغة اسلامية واخضعوها للروح الاسلامية وصارت علوما اسلامية.

فالتربية الإسلامية تربية مرنة تقتضى التفتح الواعى اليقظ نحو كل ماهو جديد نافع مع الإلتزام بالعقيدة والخلق والسلوك.

٤- التربية الاسلامية مسئولية فردية وإجتماعية فى نفس الوقت

فكل فرد مسئول عن أن ينمى نفسه ويربيها بنفسه ولقد كان طلب العلم فرضا على كل مسلم ومسلمة فرض عين بالنسبة للعلوم الدينية وفرض كفاية بالنسبة لغيرها من العلوم فالمسلم الراشد مسئول فى الإسلام عن تربية نفسه

وإن ولى الأمر مسئول عن الطفل وتربيته حتى يبلغ رشده وأن الدولة الإسلامية مسئولة عن توفير سبل التربية لأبنائها إذ هم عجزوا عن ذلك.

وكانت التربية مسئولية إجتماعية بمعنى أن الجماعة مسئولة عن تعليم الفرد فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم فى دار الأرقم ثم راح يعلم فى المسجد وفى كل مكان يجد فيه فرصة للتعليم وعلى نهجه سار الخلفاء الراشدون من بعده ففى عهد عمر كان إهتمامه بأمر التربية بالغا فاختار أمراء الأمصار من فقهاء الصحابة ليكونوا حكاما مربيين.

٥- الإنسجام بين العقل والوحى

تمتاز التربية الإسلامية بوجود فلسفة تربوية واضحة مستمدة من القرآن والسنة تحدد ماهو الإنسان وماهى الأخلاق وماهى مصادر المعرفة وماهى علاقة الفرد بالمجتمع ولماذا يعيش الإنسان وفى ضوء تلك الفلسفة التربوية الواضحة كانت كل العلوم تمثل حلقة واحدة تزيد المسلم معرفة بالله وإيمانه ولإذا كانت العلوم العقلية والنقلية معا تصب فى نهر واحد هو نهر الإيمان والتوحيد وبذلك اختلفت هذه التربية عن غيرها من التربيات التى فضلت العلم عن الإيمان أو أخذت بالعقل ورفضت الوحى. ونجد فى تاريخنا التربوى الإسلامى تناغما وإنسجاما بين العقل والوحى عند كل علماء الملسمين سواء كانوا علماء شريعة أو علماء علوم عقلية من هندسة وطب .... الخ.

٦- الربانية والتربية الإسلامية

ربانية المصدر وتعد كذلك لأنها من وضع الله خالق كل شئ ومالك كل شئ وهو أعلم بما يصلح عباده كما أن تلك الفلسفة الربانية فى التربية الإسلامية تراعى الإنسان موضوع هذه التربية كما هو إنسان لا تنخفض به إلى مرحلة الحيوانية ولا ترتفع به إلى مستوى الملائكة .

أما كون هذه الفلسفة ربانية المصدر فمعنى ذلك أن هدفها البعيد هو حسن الصلة بالله والحصول على مرضاته وهى غاية الإنسان المسلم وهى غاية التربية القرآنية وهى منتهى سعادة الإنسان فى حياته.

[الفصل الخامس]

مؤسسات التربية الإسلاميـــة

التربية مشروع هدفه توجيه الجيل وتعهده حتى ينمو ليحقق الهدف الأسمى الذى دعانا إليه لنكون خير أمة أخرجت إلى الأرض. فالهدف الأساسى للتربية الإسلامية هو تحقيق الذات وهذا الهدف يعنى أن لكل إنسان بمفرده ذاتية وخصائص تميزه عن غيره من الناس.

والتربية الحقة هى التى تعنى بإبراز هذه الخصائص عن طريق اطلاق حرية كل الناس وإتاحة الفرص الكافية والأوضاع المناسبة لجميع الناشئين ليحقق كل ناشئ ذاته فى جو إجتماعى يناسب الجميع. وتعتبر التربية الحديثة أن الذاتية هى الهدف الأسمى الذى تسعى اليه التربية ولكن هذا الهدف تنقصه الضوابط التى تعصم الأفراد من الغرور بذاتيتهم والطغيان على غيرهم أو إستعمال خصائصهم الذاتية فى ضرر المجتمع كما ينقصه الهدف المشترك الأسمى لانطلاق هذه الذاتيات ولكن الإسلام حل هذه المشكلة بأن جعل هدف التربية الإسلامية لتحقيق الذات هو إخلاص العبادة لله والهدف الأسمى هو طاعة الله وعبادته هو معيار التميز بين الذاتية الخيرة والذاتية الشريرة فلم يترك الإسلام هدف تحقيق الذاتية مطلقة من غير ضابط بل أعتبر الهدف وسيلة لهدف أسمى منه.

والهدف الثانى من التربية الإسلامية نمو الفرد من جميع جوانبه الجسمية والعقلية والروحية والخلقية- والذوقية والوجدانية للوصول إلى هدف أسمى وهو العبودية لله وطاعته وتحقيق عدالته وشريعته فى جميع شئون الحياة الفردية والإجتماعية ولما كانت طاعة الله وعبادته تحتاج إلى جهد نص الإسلام على بعض الأمور التى تقوى الجسم كما خاطب القرآن العقل ليدله على وجود الله وحث الإنسان على التدبر فى الكون. وتربية الإنسان على

- إخلاص الخضوع والطاعة والعبادة لله وحده سينتهى بـه إلـى تنميـة المشـاعر الإجتماعية بشكلها الخير المزدهر.

وبذلك فإن هدف النمو فى الإسلام يختلف عما يذهب اليه علماء التربيـة وفلاسفتها من أن الإنسان ينمو ويتطور سلوكه على إثـر مـا يتكـون عنـده مـن خبرات ولكن ليست جميع الخبرات سواء فـى تحقيـق خـير الإنسـانية وبالتـالى ليس كل نمـو يستخدم للخـير فهـل هـدف الذيـن يسـتخدمون خـبراتهم ونموهـم العقلى ومهارتهم فى السطو على المصارف هدفا تربويا.

والخلاصة التى نصل إليها أن التربية الإسلامية تجعل صلة بين أصـول التربية ومبادئها العامة وبين الأهداف التى تخطط لها العملية التربوية فالإنسان هو المحور الرئيسى للعملية التربوية ولذلك تنظر اليه التربية الإسـلامية نظـرة شاملة متكاملة روحيا وجسميا وخلقيا وفكريا .فـالهدف العـام للتربيـة الإسـلامية هو تكوين الإنسان السعيد الذى يدعو للفضيلة ولا يتم ذلك إلا بتحقيق الأهـداف القريبة :

١- النمو بجميع أقسامه.

٢- هـدف عقـائدى مـن سـلامة العقيـدة مـن الضعـف أو الإنحـراف أو الإنحلال حيث أن الدين له إتصال قوى بألوان التهذيب النفسى وهدفه الوصول إلى معرفة الحق وهو الله ثم هو لا يقتصر على وصف الحقيقة الالهية ودعـوة الناس إلى تقديسها وعبادتها بـل يرسم المنهـج السـليم الـذى يلتزمـه الفـرد فـى حياته وتسير عليه الجماعة الإنسانية كلها.

٣- هدف سلوكى وخلقى لتكوين إنسان نبيل صالح ينفع الجماعة ومترابط معها.

٤- هدف تعليمى مبنى أى هدف دنيوى عملى نفعى لإعداد الفرد للحياة وكسب العيش والرزق بدراسة بعض المهن والصناعات والتدريب عليها يقول ابن سينا "إذا فرغ الصبى من تعلم القرآن وحفظ أصول اللغة نظر عند ذلك إلى ما يراد أن تكون صناعته فيوجه لطريقه" فالتربية الاسلامية لم تكن كلها دينية وخلقية وروحية ولكن هذه الناحية كانت مسيطرة على الناحية التعليمية النفعية فالمادة وكسب الرزق كان أمراً عرضيا فى الحياة ولم يقصد الكسب لذاته بل كان أمراً ثانويا فى التعليم ويتضح لنا الغرض النفعى من التعليم من كتاب عمر بن الخطاب إلى الولاة "أما بعد فعلموا أولادكم السباحة والفروسية ورووهم ماسار من المثل وماحسن من الشعر".

ويقول تعالى " وقل إعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ،ستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون" (التوبة - آية ١٠٥).

وتحدث التربية الإسلامية فى أوساط ثلاثة هى الأسرة والمدرسة والمجتمع.

١- الأسرة :

الأسرة هى المعقل الأول للناشئين فالمنزل يلعب دوراً كبيراً فى تكوين أخلاق الطفل وفى التأثير عليه من جميع النواحى إذ أنه يقضى فيه سنواته

الأولى وهو أول مجتمع يتصل به الطفل ويستنشق فيه عبير الخلق ومنه يأخذ أحكامه الخلقية والأسرة هي التي تقدم للطفل ذلك التراث الإجتماعي الذي تسلمته ممن سبقهم والعادات والعرف والتقاليد والظواهر الإجتماعية يتلقاها الطفل في بيئته الأولى كما أنه يتلقى فيها دروس الدين الأولى ويتشبع بالمبادئ الدينية فعندما تكون الأسرة مسلمة التقى ركناها على تحقيق الهدف الذى شرع من أجله تكوين الأسرة وهو إقامة حدود الله وتحقيق السكن والطمأنينة . "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكونوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون". (الروم – آية ٢١).

وبذلك ينشأ الطفل ويترعرع فى بيت أسس على التقوى ويحكم شريعة الله فيتعلم ويقتدى ويتعود عادات أبويه.

وإذا اجتمع الزوجان على أساس من الرحمة يتربى الطفل فى جو سعيد يهبه الثقة والإطمئنان بعيداً عن العقد والأمراض النفسية.

وعندما يكون الأبوان رحيمان عطوفان على الأطفال ينشأ الطفل متزن غير منحرف لذلك ضرب لنا الرسول صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى فى محبة الأطفال.

وعلى الأسرة المسلمة أن تعود أطفالها الاستياء من انحرافات الضالين والمشركين وان تحاول ابقاء فطرة الطفل على صفائها بتعوده تذكر عظمة الله ونعمة وتوحيده من آثاره وقدرته فالأسرة هى البيئة الإجتماعية الأولى التى تتعهد الطفل بالتربية فمرحلة الطفولة المبكرة من أهم مراحل حياة الإنسان إذ

أنها الأساس الذى يعتمد عليه نمو الطفل فى مراحل حياته التالية. فالسنوات التى يقضيها الطفل بين أفراد أسرته ذات أثر بالغ فى تكوين شخصيته بما تتضمنه من إتجاهات وعادات ومفاهيم وأساليب سلوكية فالمنزل يؤثر على مظاهر النمو من الناحية الجسمية والعقلية والخلقية والناحية النفسية بتأمين الطمأنينة والحماية له.

٢- المدرســـــة:

لقد كان المسجد هو المدرسة الإسلامية الأولى وكان مسجد التقوى فى قباء هو أول مدرسة بعد دار الأرقم بن أبى الأرقم وكان للمسجد فى صدر الإسلام وظائف جليلة أهمل المسلمون عدد منها فقد كان مركزا يربى فيه الناس على الفضيلة وحب العلم ولقد بقى تعلم القرآن فى المساجد حتى الآن. قال العبودى.(١) " أفضل مواضع التدريس هو المسجد لأن الجلوس للتدريس إنما فائدته أن تظهر به سنة أو تخمد به بدعة أو يتعلم به حكم من أحكام الله تعالى. والمسجد يحصل فيه هذا الغرض متوافرا. لأنه موضع لاجتماع الناس رفيعهم ووضيعهم وعالمهم وجاهلهم".

ومن الجوامع التى اشتهرت بالتدريس جامع أحمد بن طولون ويروى السيوطى (٢) "أن دروسا مختلفة قد نظمنت ورتبت فيه منها التفسير والحديث والفقه على المذاهب الأربعة بوالقراءات والميقات والطب.

---

(١) محمد عطية الأبراشى: التربية الإسلامية ص ٧٦.

(٢) حسن المحاضرة جـ٢ ص ١٣٨.

والجامع الأزهر والجامع الأموى بدمشق وجامع المنصور ببغداد.

فالجامع لم يكن مكانا خاصا بالعبادة ولكنه كان مكانا للتربية والتعليم والنظر فى شئون الدنيا والدين ويروى المقريزى فى الخطط أن المدارس لم تعرف فى عهد الصحابة والتابعين ولم تنشأ إلا فى نهاية القرن الرابع الهجرى وان أهل نيسابور أول من نبوا مدرسة فى الإسلام وسموها المدرسة البيهقية ومن خراسان والعراق انتقلت فكرة المدرسة إلى الشام حيث أقيمت أول مدرسة فى دمشق ١٠٩٧م ومنها انتقلت فكرة بنائها الى مصر على يد صلاح الدين (١١٧١م) ثم ظهرت فى شمال افريقيا بعد ذلك بما يقرب من قرن.

وبإنشاء نظام المدرسة انفصلت المدرسة (الفرع) عن المسجد (الأصل) فقد كانت المدارس الأولى ملحقة بالمساجد واعتبرت جزءا منها ثم تطورت حتى فصلت عن المساجد وأصبحت مستقلة ثم أنشئ فى كل مدرسة مسجد للطلبة "فبعد أن كان المسجد هو الأصل الذى تتبعه المدرسة وتخضع له أصبح الجامع فرعا يتبع الأصل وهو المدرسة وبعد أن كان فى كل جامع مدرسة تخضع له صار يبنى فى كل مدرسة مسجد صغير يناسبها ويخضع لها".(١)

وكان من الأسباب التى دعت إلى وجود المدارس هو تربية الثروة البشرية وتنميتها.

---

(١) عز الدين عباس: التعليم فى الإسلام-الرائد مجلة المعلمين - العدد الخامس مارس ١٩٦٢ ص١٦.

وحثهم على حب العمل واستغلال خيرات الأرض وثرواتها بأسلوب تقنى يعطى أكبر منتوج بأقل جهد مع تربية النشئ على احترام الملكيات الخاصة والعامة وإحترام الأعراض مع تقديم العقيدة والعلم إلى الناشئين.

والمدرسة لا تحقق التجانس المطلوب بين النشئ إلا إذا بنيت على اسس التربية الإسلامية وأهدافها فمثلا:

(١) تقوم المدرسة بتوسيع آفاق الناشئ وزيادة خبراته بنقل التراث وهو فى غاية الأهمية لأنه ينقل لنا خبرات الأسلاف وحضارتهم وعلومهم ولكن لابد من الانتقاء على معايير ومقاييس تحقق هدف التربية الإسلامية فإذا كانت الغاية من نقل تراث الأسلاف وحضارتهم هو الأخذ بمبادئ القوة من أجل إعلاء كلمة الإسلام فهذا من أعظم المقاصد وأشرفها .

أما الحفاظ على هذا التراث الفكرى تعصبا لابائهم واجداهم بما يسمى قومية سواء كانوا على هدى أو ضلال فهو مرفوض.

(٢) تقوم المدرسة باغناء خبرات الناشئين بتعاليم الشريعة وعقيدة توحيد وهى أول وظيفة مهمة تقوم بها المدرسة فى نظر التربية الإسلامية.

(٣) تقوم المدرسة بالصهر وايجاد التجانس والتآلف بين الناشئين وهذا يتم إلا إذا ألف الإيمان الصحيح بين قلوب النشئ وعند ذلك تذوب جميع فوارق ويتنازل الجميع عن أسباب الحسد والتباعد سعيا وراء مرضاة الله حبا لله وشكر لله على نعمة الإيمان والسعادة.

وخلاصة القول تعتبر المدرسة من المؤسسات التى أنشأها المجتمع من أجل إستمرار تراثه وتربية أبنائه من أجل إعدادهم للحياة الإجتماعية والمشاركة الفعلية فى التقدم الإجتماعى.

طرق التربية والتعليم فى المدرسة

هى طريقة عملية تربوية تقتضى سلوك أقرب السبل وأيسرها فى عملية التربية والتعليم فهى الأداة الموصلة بين المربى ذات الصفات الخاصة التى سنذكرها فيما بعد وبين الناشئ. ومن هذه الطرق:

(١) إستخدام إحساس الإنسان أى الإدراك الحسى وهو مجموعة من الإحساسات العضوية الحيوية التى يتولد عنها فى الجهاز العصبى إدراك عقلى. فالعالم كله يفد إلى الإنسان عن طريق حواسه من سمع وبصر وشم ولمس فأساس المعرفة الإنسانية هو الإدراك الحسى وهذه هى الطريقة الأولية فى حياة الإنسان التى ذكرها القرآن الكريم " والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون" (النحل- آية ٧٨).

(٢) القدوة الحسنة:وهم تقديم النموذج الحى للإنسان المثالى ونستثير فى النشئ ميوله الفطرية لتقليده والاقتداء به وميدان وجود الشخصيات المثالية التى تكون قدوة هى المنزل والمدرسة والمجتمع و شخصيات التاريخ الصادق "لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا". (الأحزاب- آية ٢١).

(٣) التعليم المباشر بتقديم صورة مختصرة مقصودة ومباشرة للأطفال والطلاب لما ينبغى أن يسلكوه فى أفعالهم وأقوالهم أو علاقاتهم أو لباسهم إلى جانب مفاهيم القيم والعقيدة والأخلاق.

(٤) اكتساب المعلومات والخبرات عن طريق ملاحظة الطالب الذاتية المقصودة للآخرين وبالممارسة الشخصية للمحاولات إلى جانب القراءة الحرة مع تشجيع الروح الدافعة للبحث العلمى المبنى على الحقائق التالية:

- وحدانية الخالق.
- وحدة القوانين الكونية.
- حتمية السنن الكونية التى وضعها الله الواحد الأحد فى الكون.
- البحث فى كل مظاهر الكون والحياة للإستفادة منها.

(٥) طريقة الحوار: وهو القاء مجموعة من الأسئلة بعناية بحيث تؤدى اجاباتها إلى المعلومات الجديدة المطلوبة وبذلك لا تفرض الأفكار على المستمع وإنما تنمو مع الذات عن طريق اكتسابها شخصيا عن طريق المناقشة والقرآن الكريم كما سبق أن بينت إتخذ الحوار بأنواعه أسلوبا للتعليم.

بعض آداب المربى والمتعلـــــــم

المربى أو المعلم هو الأب الروحى للمتعلم وهو الذى يقوم بتغذية النفس بالعلم وتهذيب الأخلاق وتقويمها فتبجيله تبجيل لأبنائنا وتقديراه تقدير لهم قال الرسول صلى الله عليه وسلم "إن مداد العلماء لخير من دماء الشهداء".

ولقد وصف الغزالى المعلم فى الاحياء (١) بقوله "فمن علم وعمل بما علم فهو الذى يدعى عظيما فى ملكوت السماء فكأنه الشمس تضئ لغيرها وهى مضيئة فى نفسها وكالمسك الذى يطيب عبيره وهو طيب ومن اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه.

وللمعلم أو المربى صفات لكى يحقق وظيفته وهى نقل المعلومات والعقائد إلى عقول المتعلمين وقلوبهم ليطبقوها فى سلوكهم وحياتهم ولتطهير نفوسهم والسمو بها.

ومن أهم هذه الصفات الاخلاص فلا يقصد بعمله وسعة علمه إلار ضاء الله والوصول إلى الحق ونشره فى عقول الناشئين.

ويكون المعلم صبورا حليما لتقريب المعلومات إلى أذهان الطلاب وأن يكون المدرس صادقا فيما يدعو اليه ويطبقه على نفسه حتى يشعر طلابه بإيمانه بما يقول فعليه أن يكون طاهر الجسم والجوارح بعيدا عن الذنوب والآثام بريئا من الكبر والرياء وغيرها من الصفات الذميمة قال صلى الله

---

(١) الاحياء جـ١ ص ٥٢.

عليه وسلم "هلاك أمتى رجلان: عالم فاجر وعابد جاهل وخير الخيار خيار العلماء وشر الأشرار الجهلاء" ولكى يكون المربى كاملا يجب أن يتصف بالهيبة والوقار ويكون ذا كرامة يربأ بنفسه عن الدنايا ولا يصخب ولا يغلو حتى يكون مرفوع الرأس وموضع للإحترام. ومن صفات المعلم أيضا أن يكون عالما بطبائع الأطفال وميولهم وعاداتهم وأذواقهم وتفكيرهم كى لايضل فى تعليمهم .

وعلى المدرس أن يكون متمكنا من مادته مستمرا فى البحث والاطلاع قال أحد العلماء فى آداب المعلم وهو أبو شامة الشافعى فى كتابه مجموعات الرسائل" على المعلم أن "يبدأ بإصلاح نفسه فإن أعينهم اليه ناظرة وآذانهم اليه مصغية فما استحسنه فهو عندهم الحسن وما استقبحه فهو عندهم القبيح ويلزم الصمت فى جلسته ويكون معظم تأديبه بالرهبة ولا يكثر الضرب والتعذيب ولا يمازح بين أيديهم أحدا ويقبح عندهم العنيبة وبوحش عندهم الكذب والنميمة ولا يكثر الطلب من أهلهم".

ولطالب العلم أن يتحلى بالصفات التالية:

على طالب العلم أن يتحلى بمكارم الأخلاق والبعد عن مذموم الصفات وعليه أن يتفرغ لطلب العلم والا يتكبر على المعلم بل يتواضع له ويطلب ثواب الشرف بخدمته. صلى زيد بن ثابت على جنازة قربت اليه بغلة ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال لزيد خل عنه ياابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء.

وتربية الجيل على هذا الأساس معناه صيانة نفوسهم الطاهرة عن الدنس وإرتكاب الأخطاء.

وتعتبر وسائل الإعلام من صحف ومجلات وإذاعة وتلفاز من أهم وسائط التربية إذا اهتمت بالناحية الثقافية والدينية والإجتماعية.

كما أن الأندية لها دور فى التربية فيها يجد العضو مجالا لممارسة جميع أوجه النشاط ثقافى - رياضى - إجتماعى فيكون هذا سبيلا لتنمية القدرات ويحل الكثير من مشكلات الفراغ التى يعانى منها الشباب.

[الخاتمـــة]

القرآن الكريم والسنة المطهرة جمعا بين التفكير العقلى وتعاليم الدين دون تعارض. فالإيمان والعقل يتعاونان معا لمعاونة الإنسان على فهم مالوجوده وسلوكه من معنى وغاية وبدون فهم فلسفة الحياة كما صورهما القرآن الكريم والسنة النبوية لايمكن فهم التربية الإسلامية فى أى عصر من عصور الإسلام فلا تدرس التربية الإسلامية من خلال مؤسسات التعليم ومناهج الدراسة وغيرها بمعزل عن الإطار النظرى للتربية الإسلامية كما نراه من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة. ومن هنا فإن فلسفة التربية فى البلاد الإسلامية اليوم يجب أن يكون منبعها الرئيسى القرآن والسنة لخلق فلسفة إسلامية هدفها هو الإنسان المسلم المستريح نفسيا الخالى من العقد المتمسك بالإيمان وبالله ورسله وكتبه الذى يميز بين الحلال والحرام والذى يميز بين جلال الألوهية وكمالها والوجود والموجدات ومكانة الإنسان منها والذى يتميز بوحدة شاملة تتوازن فيها دواعى الدين والدنيا ومطالب الروح والجسد ويتكامل فيها الفكر والوجدان وتلتقى فيه الإرادة بالقيم الأخلاقية. ذلك المسلم الذى يمتلك من الإمكانات العقلية والفكرية والوجدانية والعملية التى تجعل منه إنسانا حضاريا يمتاز بالشمول والإتساع والتكامل والتوازن.

ومن الغريب أن يكون بين أيدينا ذلك التراث الحضارى الضخم الذى يتمثل فى فلسفة كتاب الله الذى يعد كتاب لتربية الناس بنوع أساليبه باختلاف المواقف والأماكن والسنة النبوية والذى يقتضى منا أن نمد أيدينا بكل اللهفة والشوق كي نغترف منه ومع ذلك نتطلع إلى الشرق والغرب نأخذ قطرة من هنا وقطرة من هناك فإذا بالقطرات تتحول فى أرضنا إلى مياه آسنه تنشر بيننا الوباء.

وليس فى هذا دعوة للإنغلاق على الحضـارات الأخرى قد يؤدى إلى التحجر والجمود. كما أننى لا أدعو إلى الانفتاح بغير حدود مما يؤدى إلى مسخ شخصيتنا الإسلامية ولكن يجب أن تقوم سياستنا التربوية على الإنفتاح على النفس أولا ثم يكون الانفتاح على العالم وأن يقوم توازن بين الإنغلاق والانفتاح وقد كان هذا الجمع بين النقيضين هو جوهر التربية الإسلامية وعلى اساسه تطورت وتقدمت وهذا التطور كان قائما على ماجاء فى الكتاب والسنة من فلسفة تربوية متأثرا فى الوقت ذاته بما وصل اليه الفكر الإنسانى فى خارج مملكة الإسلام ولكن هذا التأثر ليس مطلقا أو متسيبا إنما هو رهن موافقة الفكر الأجنبى لتراثنا وتقاليدنا وثقافتنا.

ومما سبق يتضح لنا أن أهداف التربية الإسلامية هى إنشاء شخصية مثالية تنظر إلى الحياة نظرة باسمة متفائلة وأن الحياة فرصة ثمينة عليه أن يغتنمها ليقطع فى مضمار السعادة شوطا يتناسب ووجوده وذلك لا يتأتى إلا إذا اشتق صاحب هذه الشخصية المثالية مثاليته من الحق والخير والكمال وتتجلى هذه المثالية بطلب الحقيقة أينما كانت والنزوع إلى الكمال وحب الخير وحب الإنسانية جميعا والعمل فى سبيلها. فهذه الشخصية ذات مثل عليا تتصل بالله جل شأنه خالق الكون ومفيض الخير والرحمة والخير المطْلق والكمال المطلق.

والعبادة فى التربية الإسلامية هى الوسيلة لتقوية الصلة بهذه المثل ورسوخها فى نفس صاحبها. والحياة المادية ليست كل شئ فى نظر صاحب هذه المثل بل هناك الوجود الأزلى إلى جانب وجوده الفانى يشعر به شعورا قويا ويحفزه الى الطموح وتقدير الحياة تقديرا صحيحا.

كما أن فلسفة التربية الإسلامية تعتمد فى تحقيق أهدافها على ترجمة العلم إلى عمل وبدون هذا لا يصبح للعلم معنى والمقصود بالعمل العمل الأخلاقى الذى لا يضير بالآخرين.

وأخيرا أرجو من الله العلى القدير أن أكون قد وفقت فيما كتبت عن فلسفة التربية فى القرآن الكريم التى تعتبر نور اليقين فى تربية أخلاق المسلمين فما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. وخيرما أختتم به اللهم جنبنا الرياء والشقاق وسوء الأخلاق اللهم حببنا إلى عبادك الصالحين وحببهم الينا ولا تجعل فى قلوبنا مثقال ذرة من كبر ولا بقى برحمتك يا أرحم الراحمين.

[المراجـــع]

(١) اميل فهمى حنا شنودة (دكتور)

- المذاهب والآراء التربوية - ط١- دار العلوم للطباعة- مصر ١٩٧٧.

(٢) أبو الاعلى . المودودى.

منهج جديد للتربية والتعليم ط١ بغداد - دار النذير ١٩٦٢.

(٣) ابن مسكويه

تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق -المطبعة الخيرية ١٩٣٣م.

(٤) أحمد شلبى (دكتور)

تاريخ التربية الإسلامية- دار الكشاف - بيروت ١٩٥٤م.

(٥) اسماء فهمى

مبادئ التربية الاسلامية- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٧.

(٦) ابراهيم عصمت مطاوع (دكتور)

- التربية المعاصرة - ط١ دار الفكر العربى- القاهرة.

- أصول التربية - ط١ دار المعارف بمصر ١٩٧٩.

(٧) ابن خلدون

- المقدمة - دار الشعب - القاهرة ١٩٦٩.

(٨) أبو بكر الجزائرى - الشيخ.

- عقيدة المؤمن - مؤسسة جمال - بيروت.

- منهاج المسلم - مكتبة الدعوة الإسلامية - مصر.

(٩) أحمد أمين

كتاب الأخلاق - دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٣١م.

(١٠) أحمد محمد الحوفى (دكتور).
- من أخلاق النبى - دار نهضة مصر.
(١١) ارسطو طاليس.
الأخلاق - ترجمة اسحق بن حنين - تحقيق د. عبد الرحمن بدوى
الكويت - ط١ ١٩٧٩م.
(١٢) أحمد فؤاد الأهوانى (دكتور).
- التربية فى الإسلام.
دار المعارف- القاهرة.
(١٣) توفيق الطويل (دكتور).
- فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها - دار النهضة العربية.
- الفلسفة الخلقية - منشأة المعارف ط١ ١٩٦٠م .
(١٤) زكريا ابراهيم (دكتور).
المشكلة الخلقية .
(١٥) زكى مبارك .
الأخلاق عند الغزالى - الممكتبة العربية ١٩٢٤.
(١٦) سيد عبد التواب عبد الهادى (دكتور).
الأخلاق فى ضوء الكتاب والسنة - دار الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
(١٧) سعيد اسماعيل على (دكتور).
_ أصول التربية الإسلامية - دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٨٦م.
- ديمقراطية التربية الإسلامية- دار الثقافة- القاهرة ١٩٧٤.
- نشأة التربية الإسلامية - عالم الكتب- القاهرة ١٩٧٨م.

(١٨) سيد حسين نصر (دكتور).

الاسلام أهدافه وحقائقه- ط١ الدار المتحدة- بيروت ١٩٧٤.

(١٩) عبد الرحمن النحلاوى (دكتور).

- أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع- دار الفكر- دمشق ط١ - ١٩٧٩.

(٢٠) عباس محمود العقاد .

- الإنسان فى القرآن الكريم - دار الهلال.

(٢١) على الجمبلاطى (دكتور).

دراسات مقارنة فى التربية الإسلامية.

(٢٢) عبد الفتاح عبد الله بركة.

فى التصوف والأخلاق- دار القلم- بالكويت ط١ - ١٩٨٣م.

(٢٣) عبد اللطيف محمد العبد (دكتور).

الأخلاق فى الإسلام - جدار العلوم - ١٩٨٥م.

(٢٤) عبد المقصود عبد الغنى (دكتور).

الأخلاق بين الفلسفة والإسلام -مكتبة الزهراء- ط١- ١٤٠٦هـ.

(٢٥) عبد الله عبد الدايم.

تاريخ التربية - ط١- دمشق- ١٩٦٥م.

(٢٦) عبد الغنى عبود (دكتور).

فى التربية الإسلامية - دار الفكر العربى- ط٢- ١٩٨٥م.

(٢٧) عبد الجواد سيد بكر (دكتور).

فلسفة التربية الإسلامية فى الحديث الشريف - دار الفكر العربى- ط١- ١٩٨٣م.

(٢٨) على خليل مصطفى أبو العينين (دكتور).
فلسفة التربية الإسـلامية فـى القرآن الكريـم- دار الفكـر العربـى-ط٢- ١٩٨٥.

(٢٩) عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب (دكتور).
بحوث فى التربية الإسلامية -دار الفكر العربى.

(٣٠) عبد الرحمن عميرة (دكتور).
الفلسفة الإسلامية بين الابتكار والتقليد.

(٣١) عبد القادر يوسف.
التربية والمجتمع- القاهرة- مطبعة المعارف- ١٩٦٤م.

(٣٢) على عبد الحليم محمود (دكتور).
المسجد وأثره فى المجتمـع الإسـلامى -دار المعـارف بمصـر- القـاهرة ١٩٧٦.

(٣٣) محمد لبيب النجيحى (دكتور).
فى الفكر التربوى - دار النهضة العربية ١٩٨١م.

(٣٤) محمد الغزالى.
خلق المسلم - دار القلم - دمشق.

(٣٥) محمد أمين المصرى.
لمحات فى وسائل التربية الإسلامية وغاياتها- دار الفكر .

(٣٦) محمد الهادى عفيفى (دكتور).
فى أصول التربية - الأصول الثقافية للتربية- الانجلو المصرية.

(٣٧) محمد عطية الأبراشى.
التربية الإسلامية وفلاسفتها- دار الفكر العربى- ط٣.

(٣٨) ماجد عرسان الكيلانى (دكتور).

تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية- ط٢- عمان- ١٩٨٣م.

(٣٩) محمد حسين هيكل.

حياة محمد - النهضة المصرية- القاهرة - ١٩٦٣م.

(٤٠) محمد عبد الرحمن بيصار (الإمام الأكبر).

العقيدة والأخلاق وأثرهما فى حياة الفرد والمجتمع - دار الكتاب المصرى- القاهرة- ط٤- ١٩٧٣.

(٤١) محمد كمال إبراهيم جعفر (دكتور).

مدخل إلى الأخلاق- دار العلوم - ١٩٨٠م.

* الصفحات من ١٢٣ ، ١٢٢ ناقصة من اصل المصدر

الموضـــــوع **الصفحة**

مصر للخدمات العلمية- القاهرة

رقم الأيداع بدار الكتب

١١٢٠٩/ ١٩٩٤م

I.S.B.N

977- 5261-36-8